روايات عبير

كبرياء إمرأة

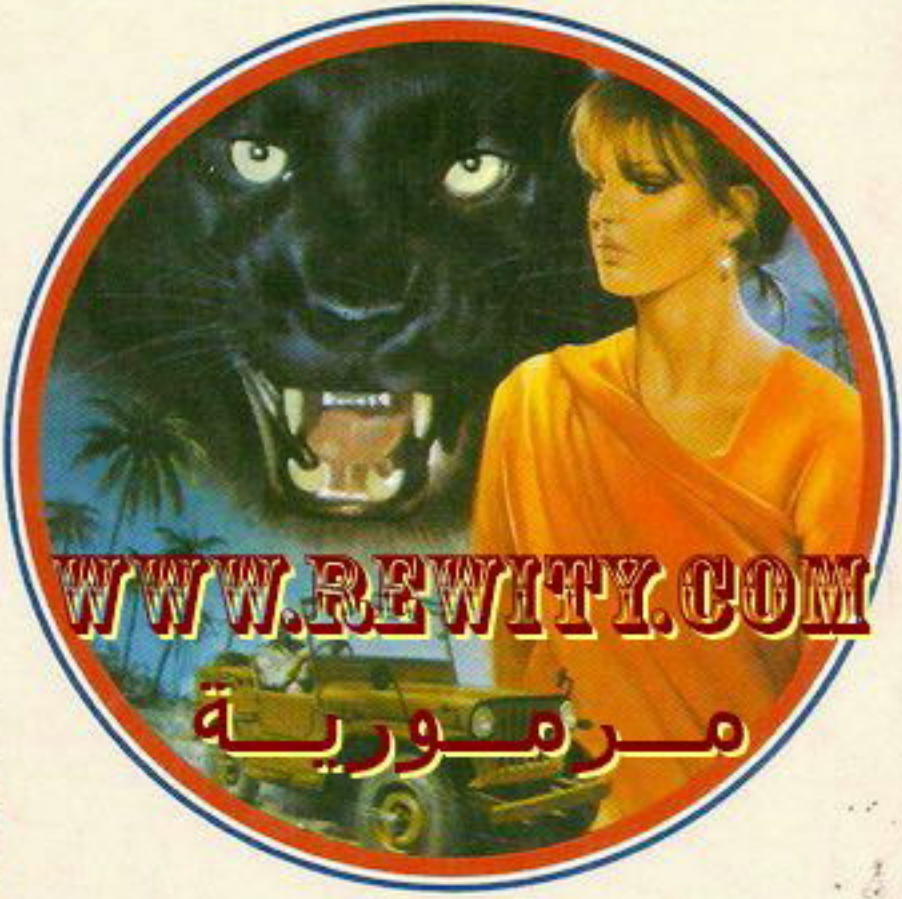

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Fran MERCOEUR

N° 663

روايات عبير

لقد بذلت "أريان" كل ما في وسعها
لإنقاذ ضيعتها بما فيها ذلك القصر الفخم لأحد أمراء "صقلية".
لكن الحرائق تشتعل بلا سبب.
عندما يطلبها "فريدريك دابويسلوكو" - الطبيب اللامع- للزواج
تظن الفتاة أنها تحلم. لكن ما السر المؤلم الذي يثقل كاهل الرجل الذي
تحبه؟ في هذه الجزيرة الرائعة التي يخيم عليها قانون الصمت
تقاوم "أريان" و"فريدريك" الخطر سوياً، لكن هل يحبان بعضهما
بالقدر الذي يمكنهما من حل هذا اللغز الغامض؟

ISBN 9953-38-037-6

9 789953 380377

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	20 درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

شخصيات الرواية

- "أريان كارمونت" : أميرة شابة تملك ضيعة كبيرة.
- "فريدريك دابويسلوركو" : طبيب شاب يرغب في الزواج بـ"أريان".
- "روساريا" : مربية "أريان".
- "بولينا كورزيني" : صديقة "أريان".

WWW.REWITY.COM
مـــر مـــوريـــة

الغلاف الأمامي

انحرفت السيارة يمينا ثم يسارا ثم يسارا. حاولت "أريان" – على الرغم من عماها المؤقت– أن تحدد خط السير. لكن بلا جدوى. بعد مرور خمس دقائق من الانحرافات المتتالية كان لابد أن تعترف بهزيمتها.

الفصل الأول

– إنها كارثة. لا أعرف كيف نتصرف...

كانت السماء صافية في صباح هذا اليوم والشمس تسقط على التلال وتضيء الأخضر الغامق لشجر السرو والصنوبر، وتجعل الظل ممتعا ومرغوبا. بدا أن صرير حشرة، أزيز الحصاد يغمر الجو أمام المبنى القديم كانت أشجار الزينة تنشر بقعة كبيرة من اللون البنفسجي على الجدار الأبيض الجيري. ومن بعيد كان الكلب ينبح بجوار حقول القمح.

كان هذا الصباح من النوعية التي يبدو فيها كل شيء براقا، وبشوشا تقريبا حيث تتحدث الطبيعة عن نفسها بلا مبالاة.

ومع ذلك كرر الرجل:

– كارثة يا آنسة، هذا ما حدث في هذه الليلة.

كان الرجل فلاحا في الأربعين من عمره وقصيرا وأسمر. هز رأسه وأشار إلى سقف منزله. لقد خطفت الزوبعة جزءا من القرميد.

قال مستطردا:

– لا يمكنني إصلاحه بنفسي. يلزم الاستعانة بـ"بناء أسطح".

– لكن ليس لديك ما تدفعه له. إني أعرف يا "ألدو". هذا إلى جانب ضرورة أن أقوم أنا بهذا... وأنا لا أستطيع ذلك.

ألقى "ألدو" نظرة سريعة على محدثته. أجابته بابتسامة

سريعة أدهشت هذا الوجه الشاب والبريء.

أضافت قائلة:

– لا تقلق. حتى اليوم أرفض دائما بيع أي شبر من هذه الأرض، لكن في هذه المرة يجب أن أستغني عنها. لقد تلقيت عرضا لمزرعة "تروشمين".. عائد البيع سيفيد جزئيا في إصلاح سقفك.

– لا، هذا أسوأ من كل شيء. أقصد أن سيادة الأمير "أمبرتو" لم يكن يريد أن تمتد "تروشمين" إلى يد أخرى غير يدك.

– هذا هو الحل الوحيد يا "ألدو". صدقني إنني لا أفعل ذلك عن طيب خاطر.

رأت من جديد ابتسامة حزينة. المزارع كان محقا. الأمير "أمبرتو كارمونت" يجد صعوبة في تقبل تجزئة أرضه لكي يسمح بالحياة على بقية الأرض. لكن لا يمكن التراجع الآن. هذا ما كان "ألدو" يجهله. وفي المقابل تشعر هي – "أريان" – بنفس المرارة مثل والدها؛ إذا كان موجودا في نفس مكانها.

في هذه اللحظة فردت امرأة– ترتدي فستانا أسود عليه فوطة مرقعة برقع ذات ألوان عديدة خرجت من الأرض المستأجرة. إنها "أنچيلا"، زوجة "ألدو".

اقترحت بود معتاد:

– هل الآنسة ستريد العودة للانتعاش؟

– بكل سرور.

تبعتها الفتاة إلى حجرة صغيرة ذات مصراعين مشدودين. بدا

لها الظلام الخفيف لطيفا ومحببا. جلست إلى المائدة الصنوبرية على البوفيه كانت صور أطفال "ألدو" و"أنچيلا" موجودة. كان الجميع يتواجدون في المدرسة أو في الحقول في هذا الوقت.

أحضرت "أنچيلا" صينية وبها ثلاث كئوس. استطرد المزارع:

– آمل ألا تواتينا عاصفة عنيفة مثل عاصفة الليلة.

أذعنت "أريان" وهي تشرب الكأس. استدار "ألدو" نحو زوجته بتردد. هذه الأخيرة– التي كانت واقفة إلى جوار زوجها– كانت تلوي بعصبية طرف فوطتها. قالت فجأة:

– فقط يا آنسة لا يوجد أخطر من قصص السقف. يبدو أنه كان هناك منذ يوم حريق في الطرف الآخر من الأرض عند الذهاب نحو "باليرم".

قالت "أريان":

– هذا صحيح.. إننا في فصل الصيف والخشب يحترق بسرعة. سواء بسبب سيجارة لم تطفأ أو إهمال سائح...

قال "ألدو":

– نعم، لكن هذه هي المرة الثالثة في خلال أسبوعين. وهذا أمر غير طبيعي.

أبدت "أنچيلا" ملاحظة بنبرة ساخطة:

– هناك أناس يلهون بإشعال النيران. فهم لا يدركون أن هذه الأرض نعيش عليها جميعا، ثم إن هذه جريمة.

ظلت "أريان" صامتة. كيف تخبر محدثيها بما تحس به دون أن تخيفهما؟ كيف تتحمل مسؤولية هذه الأرض الشاسعة وهي

التي لم تتأهب لذلك، ولم يتجاوز عمرها الثالثة والعشرين؟ قررت أن تكون صادقة:

– هل فكرتما في عمل مهووس؟ أنا أيضا. لكن بما أننا لا نعرف من المقصود...

– عندئذ اعترض "الدو":

– إذا كان هذا عملا مهووسا فإنه يفضل الهجوم على "كارمونت" لأن الحرائق وقعت هنا وليس في مكان آخر.

أقرت الفتاة بكلامه:

– هذا صحيح. لكن لماذا؟ ليس لدينا أعداء على حد علمي.

– ربما... آه.. ربما اعتقدوا أنني و"أنجيلا" عضوان بالماڤيا؟

ارتسم تعبير الضحك على قسمات "أريان":

– هذا واضح في أسلوبهم... ومع ذلك لا أعرف مصلحتهم في هذا. ويمكن أن نلومهم على أمور كثيرة، ولكن لا نتصرف بلا عقل. لم نشهد أي عمل مثل هذا من قبل. ثم إنني لست متأكدة أن ذلك قد حدث هنا كثيرا. ربما يحدث في المدينة في "باليرم".

هز "الدو" رأسه:

– لنقل إن الآنسة لم تعتد البلد. أعضاء الماڤيا موجودون في كل مكان تقريبا، وفي "صقلية"، وفي أي مكان لا نعتقد أنهم موجودون فيه.

*****

هل الماڤيا هي المتسببة في هذه الحرائق؟ ظلت "أريان" متشككة. كان الكلام الأخير للمزارع يدوّي في أذنيها حينما كانت متوجهة نحو القصر: «الآنسة لم تعتد البلد»، ما الشيء الحقيقي في هذا؟

إذا كانت قد قضت طفولتها في "كارمونت" فإن إقامتها في "فرنسا" بصحبة أبيها أبعدتها عنها سنوات. كانت تعود من وقت لآخر في فترة الإجازة، لكن عودتها الحقيقية كانت منذ سنتين فقط. وأجبرها موت أبيها منذ سنة على تحمل هذا الإرث الذي لم تنتظره مبكرا هكذا.

تذكرت هيجانها في البداية عندما كان يلزمها أن تضيف أوراق الأسرة وتهتم بالخطابات الرسمية وسوق الأرض، باختصار أصبحت سيدة الأرض. لقد ماتت أمها منذ فترة طويلة وكان كل أصحابها فرنسيين. إنهم يأتون لزيارتها، ولكن ليس بشكل منتظم. لقد وجدت نفسها وحيدة في "كارمونت" برفقة المرضعة والخادم العجوزين. لم يعد لها متبقى من الأسرة إلا بعض الأقارب من جانب أمها الفرنسية. كانت "أريان" آخر من ينتمي إلى "كارمونت".

على الرغم من عدم خبرتها في البداية أحست بالثقة بمزارعي أبيها الذين تقبلوها بدورهم. على الرغم من أنها كانت فرنسية وهم كالعادة يحترسون من "الغرباء"، وبفضل هؤلاء أصبحت وحدتها محتملة. في كل يوم كانت تسلم إيصالات الدين الذي تؤديه نيابة عنهم.

أبعدتها رؤية القصر بعيدا عن أفكارها لحظة. فوق قمة من أشجار السرو والزيتون ظهر أحد أوجه قصر "كارمونت" هذا القصر كبير ويتكون من ثلاثة طوابق، كان قصرا فخما ومهيبا ويعتبر تحفة معمارية. كان أصدقاء "أريان" الفرنسيون يقارنون قصر "كارمونت" بقصر "فرساي" وكان الاثنان يتشابهان حقا. كان سكان المنطقة يسمونه "المعجزة". كان "كارمونت" بلا شك أحد المباني الجميلة لهذا الشاطئ الشمالي الغربي لـ"صقلية".

كان القصر يضم أكثر من ثلاثمائة حجرة. عندما كانت "أريان" تمضي فيه إجازتها كان اتساع هذا القصر يبدو لها طبيعيا. وعندما عادت نهائيا مع والدها أدركت في ثانية واحدة أن قصر "كارمونت" فاخر وبديع، وعرفت كم كانت أسرتها محظوظة بامتلاك هذه القلعة المدهشة.

– عدت في موعد الغداء بالضبط.

– إنني آتية من منزل "ألدو". السقف كان...

– ستحكي لي هذا فيما بعد. أسرعي. لقد صنعت لك شرائط المكرونة.

ابتسمت "أريان" للسيدة العجوز التي أتت لمقابلتها بين تماثيل صالة القصر. كانت "روساريا" ترتدي فستانا أسود وجوربا أسود وشالا أسود. لقد فقدت زوجها وابنها منذ سنوات وظلت وفية لملابس الحداد. كم يبلغ عمرها؟ لم تستطع "أريان" أن تحدده بالضبط. كانت "روساريا" بالنسبة لها مربيتها التي

قامت بتربيتها.

وقالت لها الفتاة:

– إنني قادمة على الفور. سأصعد للانتعاش قليلا.. الجو حار!

علقت "روساريا" بحزن:

– وقت قائظ..

بدأت "أريان" تصعد السلم المؤدي إلى الطابق الأول ثم عندما أصبحت بعيدة عن عين "روساريا" خلعت حذاءها الجلدي الأسود. بدا لها الملمس البارد لدرجات السلم منعشا عن ذي قبل. كانت تعلم أن مربيتها ستغضب إذا لاحظت ذلك: «تقول "روساريا" إن الأميرة لا تسير عارية القدمين حتى لو كانت الحرارة أصبحت غير محتملة»...

فتحت صنبور حمامها ورشت الماء البارد على وجهها ورقبتها وذراعيها. أصبحت الحجرة خانقة على الرغم من أن النوافذ متوارية. ألقت نظرة على المرآة الموجودة بأعلى الحوض. كان أصدقاؤها الفرنسيون يعترفون بصعوبة أنه يوجد إيطاليون شقر وذوو عيون زرقاء. كانت "أريان" أكثر من جميلة.

نظرت من فتحة المصراع البسيطة إذا كانت قد ركنت سيارتها في الظل أم لا. تنفست: كانت السيارة الصغيرة البيضاء التي يسمونها «علبة الزبادي» توجد تحت الشجرة. وصلت إلى مسامعها من النافذة ضجة ما بعد الظهيرة: أزيز الحصاد، جرار الفلاح الذي عاد لتناول الغداء. وفجأة أرهفت السمع. كان هناك دوي بعيد من جانب القرية كسر خمول الريف، فهمست

قائلة:

– ناقوس الخطر! هذا مستحيل، لقد عادوا ثانية.

*****

وصل رجال إطفاء "باليرم" عندما وصلت الفتاة بدورها إلى مكان الكارثة. لقد أخذت سيارتها الفيات لكي تذهب هناك بسرعة وها هي الآن تتواجد بين الفلاحين وقدرت حجم الكارثة. في هذا الجزء من الضيعة ناحية الشمال نمت عشرات الفدادين من أشجار الكروم. لقد تلف نصفها حتى الآن. لقد تسللت النيران الهائجة إلى أسفل التلال التي امتلأت بدخان أسود كثيف. أحست "أريان" أن عينيها تبللت بالدموع.

دون أن تنتظر أخذت دلو الماء الذي أعطاه لها أحد الفلاحين. ولحسن الحظ أنه لا يوجد أي مسكن قريب. لكنها تساءلت: «ماذا يمكن أن يفعل خمسون شخصا أمام هذه النار التي تنتشر باستمرار حتى لو تجمعت لديهم إرادة العالم. لم يعد أسفل التل القريب جدا إلا نار جمر. تحولت طقطقة النيران إلى زمجرة. وقف رجال المطافئ عن اليسار ليمنعوا الحريق من الامتداد ناحية أشجار الزيتون.

في أثناء هذا الاضطراب العام لمحت الفتاة المزارع "الدو" وزوجته يطفآن النار مثل الآخرين. «كم كان لديهما الحق في أن يبدوا متشائمين في هذا الصباح!».

قال صوت من خلفها:

– أعتقد أننا تمكنا من إيقافها إلى حد ما. لكن الأهم هو أن رجال الإطفاء سيسيطرون على الحريق.

استدارت ورأت رجلا قصيرا ذا شعر أبيض يرتدي ثوب كاهن، ويمسح جبهته بمنديل مربعات.

قالت لصديقها العجوز:

– "دون باسكول"! عفوا، لم أرك.

تحققت الفتاة في الحال أن الكاهن لم يخطئ. الحريق الآن تم السيطرة عليه إلى حد ما.

سألته قائلة:

– هناك على الأقل ثمانية أو تسعة فدادين احترقت في هذه المرة. لم أعد أحتمل يا "دون باسكول"... لماذا يفعل هذا؟

سألها الكاهن وهو يلحق بها:

– من تقصدين؟

– المجنون. المصاب بهوس الحرق هذا.

– ليس مجنونا يا طفلتي. إنه يختار اللحظة المحددة التي تكون فيها القنوات جافة حتى لا يمكننا المقاومة... لابد أنه على علم بالوقت الذي يحق فيها لهذه الأرض أو تلك أن تروى!.

– كيف؟ كان لدينا الماء ومع ذلك...

– الآن نعم، ولكن ليس منذ نصف ساعة. لقد بدأ كل شيء حينذاك من هناك وليس من هنا. من جانب مزرعة آل "سيتبر". لقد حدث حريقان فجأة.

تفرسته باهتمام دون أن تستطيع الرد عليه. قال مكملا حديثه:

– اطمئني، لن نرثي لأي ضحية مادام هذا المنزل لا يسكنه أحد الآن. لكن كل النباتات اشتعلت على الجانب الغربي من التل.

– لا أجرؤ على تقدير إجمالي الخسائر...

لقد زال الخطر الآن ولم تعد تشعر بأي طاقة. لقد أحست أنها تعيش حلما فظيعا.

توجهت ببطء نحو السيارة المركونة إلى جانب الطريق. اقترحت عليه:

– أتريد أن أقوم بتوصيلك؟

– لا مانع، شكرا لك. هذه المشاعر هزتني جدا.

بينما كانت تسير في طريق القرية لاحظ الكاهن– في صمت– الفتاة الشقراء التي تقود. «إنها تتمتع بالشجاعة»، هكذا كان رأيه. إنها تستطيع مواجهة الأعداء، لكن إلى متى؟ إنها أيضا مثل كل سكان هذه المناطق يرون مستقبل "كارمونت" مظلما.

بدأت الفتاة الحديث:

– إذا فهمت أنا جيدا فإنك لن تصدق افتراض المهووس بالحرائق؟ هل فكرت في الماڤيا؟

– نعم. إنه مجرد انطباع.

– أعلم ما يسمونه "مثلث الموت": إنها المنطقة التي تبدأ من

"باليرم" حتى "كاتان" مرورا بالجنوب الذي يبدو منطقة نفوذ أعضاء الماڤيا. ومع ذلك فنحن خارج نطاق هذا المثلث أو خارجه بقليل.

– هذا لا يمنع أن... تعرفي بلا شك أن ابن "روساريا" تعرض للاغتيال من قِبَلهم.

– نعم، لكن هذا وقع في وقت آخر. ثم حدث هذا في "باليرم" وليس هنا.

فرملت أمام مسكن الكاهن وقالت حينما كان "دون باسكول" يفتح الباب:

– ولكن هناك شيئا يضايقني في نظريتك: ما المصلحة التي يجنيها أعضاء الماڤيا في حرق "كارمونت"؟

– أعترف أنني لا أعرف السبب. إنهم عادة ما يحترمون الضيعة الكبيرة.

– لكنهم تركوا عائلتي تعيش في أمان حسبما أعرف.

– خلاصة الأمر أن لديهم هدفا– لا أنا ولا أنت– نعرفه.

*****

كما هي العادة دائما عندما تشعر بالإحباط كانت "أريان" تبحث عن ملاذ في هذا الجزء من القصر الذي يسمى معرض اللوحات. كان مرسوما على الحائط سفن من الأرض حتى السقف تحمل بضائع غير مرئية. تأملتها "أريان" عدة دقائق

عندما ارتجفت: في أعلاها عن اليمين كانت توجد بقعة عريضة بيضاوية تثقب هيكل اللوحة.

– كنت متأكدة من ذلك!

استدارت "أريان" ووجدت "روساريا" تقف على الجانب الآخر من المعرض. قالت بنبرة زمجرة ولكن عطوفة:

– إنك صغيرة دائما. أعدت تسخين الغداء وناديتك والآنسة تعيش بين لوحاتها!

أضافت الفتاة وهي تشير إلى بقعة الرطوبة على لوحاتها:

– نعم... انظري يا "روساريا".. هذه قد تمتد.

– يلزم التعجيل بإصلاحها.

– كارثة أخرى... على أية حال إنها أبسط مما وصلنا إليه اليوم!

لقد فكرت في بيع مزرعة "تروشمين"، لكن هذا لا يكفي.

– لا، لن يقبل الفلاحون تقسيم الضيعة. توجد "كارمونت" منذ سبعمائة سنة كما أنهم لم ينفصلوا عن أي شبر من الأرض. لا تعاودي الكلام في هذا.

– لأنك ربما تتخيلين أن هذا سيسعدني لأن أضحي بجزء منها؟

هدأ سخطها بسرعة حينما أتت. خفضت عينيها وهي تشعر بالخجل لما قالته لكنها مع ذلك فكرت في أنه من الأفضل أن تبدو متضايقة عن أن تظهر الإحساس الحقيقي الذي تشعر به منذ هذا الصباح: الضيق.

ردت "روساريا" بنبرة ضيق:

– كلنا يعلم ارتباط سموك بـ"كارمونت".

لقد لاحظت "أريان" تغير نبرتها حيث بدأت تكلمها بنبرة رسمية. كانت تفعل هذا فقط في وجود الغرباء، ولكنها فعلت هذا في هذا الوقت عندما ارتأت أن الفتاة جرحتها.

قالت الفتاة:

– عفوا، لم أرد أن أحزنك. إنك تتفهمين ما حدث اليوم كله... أعلم أنك تدركين ما أحس به.

قالت "روساريا" بهدوء:

– لن نتحدث في هذا ثانية. لا أدرك فقط هذا ولكنني أفكر ليل نهار في حل... تناولي الغداء أولا وسنرى ما يمكن عمله بعد ذلك.

– ماذا كنت تقصدين بهذا الحل؟

أوضحت المربية بلغة صحيحة وأحيانا بلغة تبحث عنها لأنها لا تعرف القراءة أو الكتابة:

– القصر الذي يتهدم لعدم المحافظة عليه، والحرائق التي تدمر الزراعة، والعوائد غير الكافية، هذا غير الضرائب... عما قريب لن يمكنك مواجهة كل هذا.

انتظرت لحظات حتى أحضر رئيس الخدم "جيوسيب" القهوة.

– إذا لم أعرف القراءة فإنه يمكنني الحساب. ويتبقى لك ما تعيشين به وتعيش "كارمونت" لمدة شهر. ربما شهر ونصف الشهر إذا تركتنا العواصف والحرائق في أمان... الحل هو بيع كل

الضيعة. لكنك لن تقبلي هذا أبدا. ولا أنا أيضا.

– لا، هذا خارج النقاش، لا أعلم ما أفعله.

– أنا... فكرت في شيء، لكنني أعترف بأنه لا يروق لي كثيرا.

– هلا أوضحته؟

همست المربية العجوز كما لو كانت تقول سرا:

– أشعر بالخجل... إذا تزوجت؟ جميلة مثلك...

– زواج منفعة؟ إنك تضحكين؟ إذا كان يجب أن أتزوج ذات يوم فإنني سأختار من يعجبني سواء أكان ثريا أم لا! لا تعتمدي عليَّ في الزواج بالوافد الأول بحجة أن لديه ما سينقذ "كارمونت"!

لما شعرت "روساريا" بالإحباط ألقت عليها نظرة امتزج فيها الإعجاب والاستسلام.

*****

تفحصت "أريان" المنظر من حولها. كل هذه الأرض ربما تحترق بسبب أناس لا تعرف أسماءهم ولا أرقام تليفوناتهم المحمولة أو إذا كانوا منتمين أصلا إلى الماڤيا!

زواج مصلحة... مع هذه الثروة التي ستسمح لها بحماية الضيعة، وتحسين حالة المزارع، وتشغيل كثير من العمال الزراعيين، وإصلاح القصر... نعم، هذا هو المخرج الوحيد. لكن

هذا الحل يبقى عصيبا عليها.

تركزت عيناها من جديد على التلال ثم على قصرها الذي كان ضوء النهار يوضحه. منذ أن شيد القصر وهو موضع افتخار أمراء "كارمونت". هل يحق لها التنازل عنه إلى مشتر؟

كان هذا القصر يمثل طفولتها: «إنه حياتي ولا يمكنني التنازل عنه». فصول الصيف، والسباقات المجنونة في الثلاثمائة حجرة للقصر، والحفلات التي أقامها والداها في المساء وسط أحواض السباحة... كان هذا قبل ذلك، أما الآن فالمنتزه بلا عناية، وحمامات السباحة فارغة، والقصر مهجور.

بعد موت زوجته– عندما كانت "أريان" في الثانية عشرة من عمرها– قرر الأمير "أمبرتو كارمونت" مغادرة هذا المكان الذي تتعلق به بعض الذكريات. لقد اصطحب ابنته إلى "باريس" تاركا الضيعة تحت يدي وكيل. كانت "أريان" تعود في الإجازات الكبيرة بدون والدها وترى أطفال الفلاحين الذين كانت تلعب معهم. في أثناء ذلك الوقت... استأثر الوكيل بالتدريج على أموال الأمير الواثق به.

عندما سقط هذا الأخير مريضا منذ سنتين قرر أن يعود نهائيا إلى "كارمونت". كان شبه محطم تماما. هرب الوكيل وهزل الأمير واهتمت به ابنته "روساريا".

توقفت "أريان" على درجات الشرفة المنخفضة. في هذه اللحظة بدأت الدموع– التي حبستها منذ أن شهدت حريق هذا الصباح– تسيل على وجهها. وفجأة بذلت مجهودا للسيطرة

WWW.REWITY.COM
مـــروريـــة

على نفسها حينما لمحت خيالا على الدرابزين. لاحظت الفتاة أنه يرتدي بذلة من الكتان البيج الفاتح. صعدت عدة درجات وتفحصت الغريب من جديد. كانت قسماته منتظمة وجبهته عالية وذقنه معتدل. أدهشتها نظراته: كانت عيناه الرماديتان- الخاليتان من القسوة والسخرية- تتعارضان مع شعره الداكن.

قال المجهول:

- أعرف أنني في ضيعة خاصة.

عبر عن ذلك بلغة إيطالية سليمة مع لكنة فرنسية ثم أضاف:

- آمل أن تتقبلي عذري. مررت على الطريق بالسيارة وأمام جمال هذا القصر لم يمكني المقاومة. تملكتني الرغبة في الإعجاب به عن قرب.

هل خمن أنها صاحبة قصر "كارمونت"؟ شيء عجيب، تمنت ألا يعرف ذلك.

أجابته بالفرنسية:

- لا تعتذر. مرحبا بك.

مررت يدها بسرعة على خدها. هل رأى أنها كانت تبكي؟

ابتسم. اضطربت بلا سبب واستطردت:

- آه... أميرة "كارمونت" لن تغضب منك. عندما تحب مكانا لابد أن تستمتع به،

- أشكرك... هل سيادتك فرنسية؟

- نعم، ويمكن أن نقول من ناحية الأم.

- أنا أيضا، كما يمكنك أن تقولي...

ساد الصمت. كانت "أريان" تخشى أن ينتهزه الرجل المجهول ليستأذن. كانت ترغب- دون أن تعرف السبب- في أن يمتد وجوده. خاطرت بتفاهتها:

- إنك آت في إجازة بلا شك؟

- نعم، إني آت من "باليرم" منذ يومين ولا أعرف "صقلية" واكتشفت أنها رائعة... ها هو قصر "كارمونت" الشهير! إنه... لا يمكن وصفه.

اقترحت بتلقائية:

- أترغب في الدخول؟

- أتقطنين فيه؟

اعترفت "أريان" بعد أن وقعت في الفخ:

- آه، بالفعل... إنني...

لا، إذا اعترفت بحقيقة شخصيتها فربما سيشعر باضطراب وسيرحل كما أتى.

- أقصد أنني مرافقة الأميرة.

أحست بوجهها يحمر. لماذا يخشاها هذا الرجل؟

همس بروح دعابة:

- الأميرة محظوظة. ومع ذلك لا أريد أن أفرض نفسي حتى لو كانت الأميرة مضيافة. لابد أن أرجع الآن.

تقدم نحو درجات السلم ثم أضاف وهو يبتسم:

- لم أقدم نفسي: أنا "بيير دوڤال".

رأته ينزل السلم. ثم توجهت نحو باب بلكونة القصر. نظرت

إليه وتوقف "بيير دوڤال" أمام الأرض الخضراء ورفع وجهه نحوها.

استدار الاثنان نحو بعضهما في نفس اللحظة.

الفصل الثاني

قالت "روساريا" وهي تميل من النافذة:

– زيارة لك يا "أريان".

فرملت سيارة على الرمل. كانت المرأتان تقفان في الصالون الصغير وهو عبارة عن غرفة من غرف الطابق الأرضي تضم صالونين للاستقبال.

كما هي العادة كل خميس كان "دون باسكول" يتغدى في القصر. لقد رحل الكاهن. أحضر "جيوسيب" رئيس الخدم صينية القهوة إلى المكتب.

سألت الفتاة وقلبها ينبض:

– من؟

تمنت– للحظة– أن يكون "بيير دوڤال". «أمل خائب بلا شك» هكذا حدثت نفسها. لقد قابلته منذ ثلاثة أيام ولم تتلق منه أي إشارة. «هذا طبيعي للغاية! ما الذي ستوفره له هذه التي قدمت نفسها على أنها مرافقة الأميرة؟».

أجابت "روساريا" بفرح واضح:

– الكونتيسة "كورزيني".

طبعت الوافدة الجديدة قبلة على خد المربية، ثم تقدمت نحو "أريان" واحتضنت الاثنتان بعضهما بحرارة بدأت "بولينا كورزيني":

– زيارة مفاجئة وبلا سبب خاص. أردت فقط أن أعلم أخبارك، فلم أرك منذ خمسة عشر يوما.

تركت "روساريا" الاثنتين معا. كانت "بولينا" ترتدي ملابس أنيقة على الرغم من أنها وزوجها غير ثريين.

قالت ملاحظة كما لو كان صدى لأفكار "أريان":

– فستانك جميل جدا. اللون البنفسجي يناسبك جيدا... لنكف عن التفاهات... علمت أن حريقا جديدا اشتعل منذ ثلاثة أيام... الأوغاد! وطبيعي لم يترك أثرا؟

– طبيعي.

– ماذا تنوين؟ ألن تبيعي على ما آمل؟

نفت "أريان" بإشارة من رأسها. واصلت "بولينا" بصوت حالم في هذه المرة:

– حسنا. لأن ماضي سينصرف هكذا وكذلك ما ضيك.

وذكرت– ربما أكثر من "أريان" نفسها– إجازتها الأولى في القصر عندما كانتا في الخامسة عشرة من العمر وإجازاتهما المتتالية في كل عام. كان الأمير "أمبرتو" يحس بعاطفة عميقة نحو أفضل صديقة لابنته. لقد تعرفا على بعضهما في "باريس" بالمدرسة. كانت "بولينا" فرنسية وتنحدر عن أسرة شبه

متواضعة. لقد وضع الأمير- الذي لم يكن يرغب في العودة إلى "كارمونت" منذ وفاة زوجته المراهقتين تحت السلطة الصارمة ولكن الحفية لـ"روساريا". كانت "بولينا" - بعد "أريان" الشخص المحبب للمربية.

استمرت "بولينا":

- أتتذكرين أن "دون باسكول" الذي أخبرنا أن كونت روماني- يدعى "أورلاندو كورزيني" - اشترى فيلا على بعد ثلاثين كيلو مترا من هنا في "مونريل"؟

قالت "أريان" وهي تقهقه:

- أي، نعم! إنك قلت: يا للذهن! "غريب"! إنك تبدين صقلية أكثر مني... وأتى الغريب لزيارتنا معتقدا أن أبي هنا...

أنهت "بولينا" الكلام:

- وبعد ستة أشهر تزوجته!

عادت "روساريا" إلى الحجرة وهي تحمل شراب التوت الذي تفضله الكونتيسة الشابة. ثم اختفت المربية. استطردت "أريان" وهي تضع ملعقتها في الطبق المثلج:

- بمناسبة "أورلاندو" كيف حاله؟ والأطفال؟

- الابن الذي عمّدته بدأ يمشي، والصغيرة تنظر إليه بعينين مستديرتين... "أورلاندو" مشغول للغاية: لديه قضية سيترافع فيها في نهاية الشهر. على أية حال سأنظم حفل عشاء في غضون أربعة أو خمسة أيام مع بعض الأصدقاء هل أنت

متفرغة؟

وافقت "أريان" بامتنان. كانت دردشة "بولينا" - دون أن تكون سطحية- أبعدتها من إحساسها بالقلق.

وفجأة قالت الكونتيسة الصغيرة:

- وأنت؟ كيف تنوين حل مشاكلك، أقصد أمورك المادية؟ لأنني أنا و"أورلاندو" فكرنا في أنه يمكننا أن نسلفك إذا كان لديك مشاكل...

ونطقت مبلغا كان يعني بالنسبة للمحامي وزوجته ثروة.

تأثرت "أريان" بهذه الرقة وهذا الكرم وأجابت:

- أشكرك، أشكرك شكرا جزيلا...

- هذا لن يغير من الأمر شيئا؟ كنت أشك في هذا... وعملك في ترجمة الروايات الفرنسية إلى الإيطالية؟

- إنه رائع ولكن لا يدفعون كثيرا. وبخصوص البحث عن وظيفة مدهشة... فإنني لم أحصل على شهادة.

اقترحت "بولينا":

- مساعدة محام في "باليرم". من بين زملاء "أورلاندو" هناك الكثيرون بالتأكيد الذين سيسعدون بأن تعملي لديهم لكنني أخشى ألا يكون هذا مدهشا.

كانت الكونتيسة "كورزيني" تفكر بصوت عال كما لو كان هذا يساعدها على إيجاد حل لمساعدة صديقتها. كانت "أريان" تعلم عدم جدوى مجهوداتها لكنها تعلم وفاء "بولينا" و"أورلاندو" وموقفها هي نفسها الحرج.

تركتها "بولينا" وهي تعدها بالاتصال لتأكيد موعد العشاء، وحينذاك ظهرت "روساريا" في الصالون الصغير لتقول:

– يبدو أن الناس يقفون في الطابور اليوم! لقد ركنت ليموزين السيدة "سكاريو" في الممر الشرقي.

نهضت "أريان" بلا حماس وذهبت إلى إحدى غرف الاستقبال الأقل تأثيثا. توقفت لحظة لتتفحص شكلها وهي تحاول التحلي بموقف آمن. جهد لا طائل من ورائه. لم يعد لديها القدرة اليوم على استقبال الزوار وخصوصا "سكاريو" هذا وأولا– ماذا يريد منها؟ إنها لا تعلم شيئا عنه عدا أنه يدير إحدى الوكالات الرئيسية للعقارات بالمنطقة ويعيش في "باليرم". كانت "روساريا" لا تطيق هذا الرجل، ربما لأنه كان يريد شراء إحدى مزارع الضيعة.

من وراء النافذة كانت الأرض الخضراء للمنتزه تظهر وحمامات السباحة الجافة تحوطها.

دخلت "روساريا" في أعقابها وقالت:

– السيد "كالوچيرو سكاريو".

أخذت "أريان" مكانها على كرسي كبير منجد بالقرب من النافذة وتفحصت الوافد الجديد بينما انسحبت "روساريا". كان "سكاريو" يبدو في الأربعين من عمره وكان يعد رجلا جذابا، ولكن تافه.

مال قبل أن يستقر على الأريكة أمام الفتاة.

– يا للصالون الرائع! هذه الشمعدانات والبساط ولوحات

القدماء... يا أميرة إنك تعيشين في ديكور حكاية من الأساطير!

كان حماسه واضحا، ولكن هناك شيئا غير واضح في كلامه ضايق "أريان". تذكرت إعجاب "بيير دوڤال" حيال القصر، وهنا أحست بالتوافق معه لماذا تتصرف بشكل مختلف اليوم؟

واصل "سكاريو" حديثه:

– ما شأن هؤلاء الناس البشعين الذين يهاجمون ضيعتك! لقد علمت بخبر هذه الحرائق. إنها المافيا بلا شك.

اعترضت على كلامه بنبرة ضيق:

– لا يوجد شيء يؤكد لنا هذا.

لا تهم مواساة هذا الرجل. إذا كان آتيا فإن له نية محددة.

– ربما تنوي القول بأنني أرغب في بيع إحدى مزارعي؟ للأسف لقد احترق جزء من زراعتي وإنني متأسفة.

– يا أميرة، لا تسيئي فهم الهدف من زيارتي. لا أتواجد هنا بصفة وكيل عقارات... لقد أتيت هنا منذ عشرين عاما لرؤية سيادة الأمير "أمبرتو"، والدك كان رجلا رائعا. لقد عرضت عليه حينذاك شراء الضيعة كلها وليس مزرعة أو عدة مزارع.

ظلت صامتة وواصل حديثه مع ابتسامة مليئة بالثقة:

– رفض الأمير هذا ومع ذلك لم تكن فكرتي سيئة... إن وكالتي لا تمثل إلا جزءا بسيطا من أنشطتي. حان الوقت لأن يتم تحديث هذا البلد وأن يكف عن العيش كما كان الحال في العصور الوسطى. كان والدك أحد السادة الكبار في "صقلية"

وكان يظن نفسه في العصر الإقطاعي ويستخدم كلمات الفلاحين والضيعة. هذا جميل ورائع حتى لو تجاوز الحدود..

قالت ببطء:

– ما الذي تريد الوصول إليه؟

– ها هو: ما كان يصلح في وقت الأمير لم يعد صالحا اليوم.

لن تعيش ضيعة "كارمونت" هكذا بسبب الأمور المادية. ولكن فكري فيما ستصبح عليه هذه الضيعة بمجرد تحويلها إلى قرية للإجازات.

سألت بدهشة:

– عفوا؟

– نعم. سيبقى القصر كما هو وسنرممه للاحتياجات.

سنشيد منازل من طابق واحد في المنتزه بالإضافة إلى محلات خاصة بالحاصلين على إجازة. أما المزارع والأرض المستأجرة فسيتم تحويلها إلى أماكن إقامة ثانوية ومن الطبيعي أن يعاود الفلاحون الإقامة بها...

– في الأكواخ القذرة على ما أعتقد؟ وأين تريد أن يعملوا؟

– افهميني جيدا إنها قرية فاخرة و...

– وليس مجديا أن تصر يا سيدي. على عكس ما تعتقد "كارمونت" ليس ديكورا باليا للسائحين. هناك أناس يعيشون ويعملون هنا! على أية حال لن أوافق أن يحرمهم أحد مما يسمح لهم بالعيش. حتى لو لزم أن أبيع الضيعة ذات يوم، وهذا ما يبدو لي حتميا فإنه لن يتم بمثل هذه الشروط.

– غير معقول، يخيل إليّ أنني أسمع والدك.

– وهذا يثبت أنني لا أرى الأمور بوجهة نظر "إقطاعية"، ولكن النتيجة واحدة.

لم يستطع الرد عليها: إنها لا تعارض فقط بشدة على عكس ما كان يتوقعه منها لكنها سريعة الرد.

قال بصوت أقل قوة:

– حتى لو عرضت عليك مبلغا يمكن أن...

– إنني لا أشك في سخائك يا سيدي، ولكن الإجابة مرة أخرى هي "لا".

نهض وفهم أن هذا الجهد لا طائل من ورائه، وتوجه نحو الباب بعد أن حيا الفتاة باحترام لا يخفي تماما حزنه.

*****

قالت "روساريا" عندما حكت لها "أريان" ما حدث:

– إنك محقة تماما، هؤلاء الناس يتخيلون أن المال هو المهم. نسور، نعم، إنهم نسور في الحقيقة!

صمتت "أريان" لحظة وفكرت في "بيير دوڤال": كم كانت الأمور ستختلف لو كان رجل مثله أراد أن يحصل على الضيعة! إنه سيدرك معنى "كارمونت"، إنني متأكدة من ذلك. كان سيعرف كيف يحب هذه الأرض وهذا القصر كما أحببتهما. كانت ستقبل البيع له. ولكن بم تحلم؟ إنه لن يعود.

كانت "أريان" تعبر الآن سلسلة من الأبواب المنحوتة على هيئة رءوس حيوانات وأشخاص قدامى حتى وصلت إلى غرفة أمها. كانت الغرفة ذات أبعاد متوسطة. كان هناك سرير كبير بقبة يشغل منتصف الحجرة عن يمين السرير كانت توجد منضدة مغطاة بالصور الفوتوغرافية المحاطة بإطارات عصرية من الفضة. على هذه الصور يوجد الأمير "أمبرتو" و"أريان". لم يلمس أحد أي شيء منذ اثنتي عشرة سنة أي عندما ماتت والدة الفتاة، وكانت هذه الغرفة تحتفظ بشيء خفي مثل التي كانت تسكنها والتي أضاءت سعادتها ورقتها ووسامتها القصر القديم لأن زواج "لورا ڤيرنويل" و"أمبرتو كارمونت" كان زواج حب.

في سن العشرين كانت "لورا" توعد بأن تصبح إحدى المغنيات السبرانو في "فرنسا" لقد غنت كثيرا تحت إشراف مشهورين من الأوركسترا في "فرنسا" و"الولايات المتحدة" قبل أن تتجرأ وتغني في "إيطاليا". لاقت هذه المغنية الفرنسية الشابة نجاحا كبيرا عندما مثلت دور "عايدة". لقد أتاها التكريم عندما طلب منها افتتاح الموسم بالأوبرا، وفي هذه الأثناء قابلت الأمير. ثم تقابلا بعد ذلك في "ميلانو" و"ڤينيسيا" و"روما" و"نابولي". تصدر خبر زواج المغنية الأوربية الشهيرة برجل مشهور من "صقلية" الصفحة الأولى! هل ستترك مهنتها؟

أصر الأمير على أن تستمر.. كان الزوجان يسافران معا باستمرار ثم ولدت "أريان". في هذه المرة قررت الأميرة "لورا" ترك الأوبرا حتى تخصص وقتها لزوجها وطفلها... بين والديها

و"روساريا"، والزيارات المستمرة للأصدقاء، وأبناء العم الفرنسيين شهدت "أريان" إحدى عشرة سنة من السعادة في "كارمونت". ذات يوم تعرضت "لورا" لحادث سيارة بالقرب من "باليرم" وكان يبدو بلا خطورة. لكن بعد مرور عدة أشهر كان يجب أن تلزم السرير. كان الأطباء يتحدثون عن "الآثار الخطيرة" دون أن يتحدثوا كثيرا. ذهب أفضل الإخصائيين إلى القصر ولكن بلا جدوى. لما علمت "لورا كارمونت" بذلك عزمت على أن تقدم آخر عرض لها بالأوبرا. كانت الصالة مليئة تماما، وقد أبدعت فنانة الأوبرا في هذه الرواية. أدرك الجمهور أن مأساة حقيقية على وشك الحدوث في هذه الليلة. أمسكت "أريان" – التي كانت تجلس مع أبيها في المقصورة المجاورة لخشبة المسرح– يد أبيها. وماتت الفنانة وهي تفرد ذراعيها نحو الصالة...

إنها الرواية الوحيدة التي تحفظها "أريان" عن أمها.

نهضت "أريان". كانت هذه الغرفة تخنقها فجأة. على أية حال إن تحريك هذه الذكريات لم يجعلها تفكر إلا في شيء واحد. إنها لن تبيع الضيعة إنها بذلك قد تخون ذكرى من عاشوا بها. لكن كيف تتصرف؟ زواج منفعة كما نصحتها به "روساريا" في ليلة الحريق؟ هذا أسوأ مثل البيع تماما.

*****

أمام الباب الموصل إلى المطبخ كانت "روساريا" تتحدث مع "جيوسيب" عندما لحقت "أريان" بهم في الطابق الأرضي. قال "جيوسيب":

– إنه لايزال مختفيا.

أجابته "روساريا" بهزة من رأسها:

– إنه في نفس عمرها.

سألت الفتاة:

– عمن تتحدثان؟

ردت "روساريا" وهي ترفع حاجبيها:

– عن "موسكا".

لم تستطع "أريان" أن تمنع نفسها من الضحك واحتضنت المربية بتلقائية:

– إنك غريبة: إننا واقعون في مشاكل لا حصر لها وكل ما يشغلك هو هروب قط!

– عفوا، لكن الأمر ليس هكذا تماما: إنني أقدر الأمر تماما لدرجة أننا نعرف أن الموقف يائس جدا. ومن ثم فكرنا في شيء آخر... بالمناسبة يرفض "ڤولبون" أي طعام منذ أن تغيب "موسكا". كلب يترك نفسه للموت في ظل غياب قط المنزل: سنرى العجب!

كانت المربية تتحدث بنبرة بشوشة، ومع ذلك خمنت "أريان" كم كانت هذه السعادة حقيقية.

كانت "أريان" ذاهبة للرد على التليفون عندما دوى جرس

التليفون في الصالة. كانت "بولينا كورزيني" على الخط:

– بالنسبة للعشاء الذي كنت حدثتك عنه فإنني فكرت في يوم السبت القادم. أيناسبك هذا؟

– يناسبني تماما.

– حسنا. لقد دعوت زملاء "أورلاندو" محامين كبارا من "باليرم" و"روما". إنها علاقات عمل، لكنني أعرفهم، إنهم عطوفون للغاية.

– أثق بكلامك فالناس المضجرون لا يحق لهم التواجد بمنزلك... بالمناسبة أتعرفين المدعو "سكاريو" تاجر العقارات؟

– آه، نعم. هذا الاسم يخبرني بشيء ما. لكنني لم أقابله أبدا. يبدو أنه ثري للغاية. لماذا؟

– إنه يتمنى شراء "كارمونت". سأخبرك بالتفاصيل، ولكن عرضه مرفوض تماما.

– آه... بينما كنت أفكر في هذا الأمر دعا "أورلاندو" طبيبا فرنسيا يقضي إجازته في "باليرم". لم أره بعد، لكن "أورلاندو" يؤكد أنه رجل مدهش.

بدأ قلب "أريان" ينبض بسرعة وسألتها:

– ما اسمه؟

– "فريدريك دا بويسلوركو".

خفضت الفتاة رأسها. كم كانت مجنونة لأن تتصور أنه "بيير دوڤال"! واصلت الكونتيسة "كورزيني":

– لقد قابله "أورلاندو" لدى البروفيسور "رومانو" الجراح.

كانوا يتناقشون حول مشكلة طبية لا أعرفها متعلقة بالقضية التي يجب أن يترافع فيها "أورلاندو"، ثم ذهبوا للقيام بجولة في المدينة وتحدثوا عن أمور كثيرة. باختصار بدا "بويسلوركو" له شخصا رائعا، ولكننا سنحكم- أنا وأنت- في مساء السبت.

وافقتها "أريان". وجلست بعد ذلك وتساءلت عما إذا كان لدى "بولينا" فكرة ثانية بأن تتمنى لها مقابلة "بويسلوركو". لابد أنه رجل عجوز أصلع وحكيم. إذا كانت "بولينا" تكف عن أداء دور الخاطبة!

*****

كانت الساعة تشير إلى الثامنة تقريبا عندما وصلت الفتاة إلى "مونريل". كانت "أريان" ترتدي فستانا من الحرير الطبيعي شمرت كميه من أجل قيادة السيارة. كان الجو حارا وكانت قدماها عاريتين مع الصندل الذي ترتديه، وكان شعرها- الذي تعقده على هيئة شينيون على رقبتها- يجعلها تبدو رائعة الجمال.

عند مدخل "مونريل" كانت توجد فيلا بيضاء عصرية ولكن أنيقة وكان بابها مفتوحا. كانت عدة سيارات مركونة أمام المدخل لقد اختار "أورلاندو" الاستقرار في الجو الهادئ لهذه المدينة الصغيرة. إنه يذهب عدة مرات أسبوعيا إلى "باليرم".

بمجرد أن ركنت "أريان" سيارتها ظهرت "بولينا" على باب

الفيلا وهي تحمل بين ذراعيها ابنها "السندرو" البالغ من العمر خمسة عشر شهرا. أمسكت "أريان" الطفل الصغير وقبلته ثم قالت "بولينا" مفسرة:

- إنه يسعد لما يراك. سأضعه في سريره. تعالي، لقد أتى الجميع.

اتبعت "أريان" الكونتيسة الشابة إلى الصالون ذي النوافذ الزجاجية العريضة التي يمكن من خلالها رؤية الأبراج المربعة لـ"دوم" ترك "أورلاندو" مجموعة الرجال الذين كان يتحدث معهم وأتى لمقابلتهما.

- إنني سعيد لقدومك. وجودك سيجعلني أنسى قليلا القضية التي سأترافع فيها في نهاية الشهر...

- لماذا؟ هل هي قضية صعبة؟

- ليس بصفة خاصة. ولكن كالعادة أخاف الجمهور... أخيرا لن نتحدث عن ذلك. أعتقد أنك تعرفين الرئيس "دانيالي" قال هذه الجملة وهو يستدير نحو رجل مسن الذي تبادل بعض الكلمات العامة أمامها.

ثم قدم لها "أورلاندو" شخصيات مختلفة بالمنطقة أغلبهم من القضاة أو المحامين. تحدثت زوجاتهم معها للحظات. كان اسم "كارمونت" له مفعول السحر ولكن جمال وسحر الفتاة أضافا مودة شعر بها الحاضرون وخصوصا الرجال.

صافحت ما يقرب من خمسة عشر شخصا عندما اقتادها "أورلاندو" إلى آخر الصالون حيث كان يتحدث رجل شاب

طويل القامة مع البروفيسور "رومانو" الجراح الذي تعرفه الفتاة بالكاد. كان الرجل المجهول أمام "رومانو" وكان ظهر هذا المجهول لهما. استدار حينما سمعهما يقتربان.

أحست الفتاة بالدهشة. إنه "بيير دوڤال".

ومع ذلك حينما حيا البروفيسور "رومانو" الفتاة أشار "أورلاندو" إلى "بيير دوڤال" وهو يقول لـ"أريان":

– أقدم لك الكونت "فريدريك دا بويسلوركو".

الفصل الثالث

ابتعد "أورلاندو" والبروفيسور. لم تفق "أريان" بعد من دهشتها. قالت مبتدئة حديثها:

– اعتقدت... أو ربما خدعت حينما أخبرتني باسمك في ذلك اليوم بالقصر؟

أجاب "فريدريك" وهو يضحك:

– مطلقا. لقد قلت "بيير دوڤال" أول اسم خطر بذهني...

– ولكن لماذا؟

– أيمكنني أن أشير عليك بأنك أنت نفسك بدلا من أن تقدمي لي شخصيتك الحقيقية فإنك ادعيت أنك مرافقة أميرة "كارمونت"؟ لتحكمي على دهشتي حينذاك!

ضحك مرة أخرى! كانت ابتسامته براقة. لقد رأت "أريان"

في عينيه ذلك الوميض الذي أدهشها في المرة الأولى التي رأته فيها. لم تعرف ماذا تقول. لقد لاحظت الجاذبية التي تنبعث من هذا الرجل.

انضم "أورلاندو" إليهما بعد أن قدم شرابا إليهما:

– كنت أجهل السبب لكنني تصورت أن أميرة "كارمونت" سيدة عجوز... وعندما قال لي "أورلاندو" أنها لابد أن تأتي هذا المساء وأنها شابة جميلة شعرت ببعض الدهشة. وسألته عما إذا كان قد دعا مرافقتها... بماذا أجابني "أورلاندو"؟ بدهشة كبيرة وهو يقول لي إن الأميرة تعيش بمفردها مع مديرة القصر ورئيس الخدم...

قال "أورلاندو" وهو يهم بتركهما:

– إذا كان هناك أحد لم يفهم شيئا من كل هذا فإنه أنا!

قال له "فريدريك":

– سأشرح لك.

قالت "أريان" ملاحظة:

– على أية حال لم تجب عن سؤالي: لماذا أعطيتني اسما آخر؟

– لأنك ادعيت أنك مرافقة الأميرة. فكرت حينذاك في أن اسمي– دون أن يكون مشهورا في "صقلية"– يمكن أن يكون له مردود... مؤثر.

في هذه المرة قهقهت الفتاة.

– هذا غير معقول! لأنني أنا أيضا أخشى التأثير كما تقول. إذا كنت قد اعترفت لك بأنني أميرة...

في هذه اللحظة دعت "بولينا" المدعوين إلى مائدة الطعام. بينما كانت الفتاة تجلس إلى المكان الذي اختارته مرت "بولينا" خلفها وقالت لها وهي تضع يدها على كتفها:

– إنني ذاهبة لكي ينام "السندرو" إنه يريد النوم. سترين الصغيرة في مرة أخرى ربما غدا!

– آه، نعم. إذا أتيت لتناول الغداء معي فاصطحبيهما معك. اتفقنا.

بدأ البروفيسور "رومانو" حوارا متعلقا بالموسيقى مع "أورلاندو" و"فريدريك" تواجد هذا الأخير أمام "أريان" وسألها:

– بالمناسبة، هل الرائعة "لورا ڤيرنويل" من بنات خالتك؟ لقد تزوجت أمير "كارمونت" على ما أعتقد؟

– إنها والدتي.

– لدي بعض الأسطوانات الخاصة بها. إنني معجب بها كثيرا.

سألت "بولينا":

– وماذا عن "صقلية"؟ أيمكننا أن نعرف ما انطباعاتك الأولية عنها؟

– إنني لم آت هنا إلا منذ خمسة عشر يوما. لقد امتدح أصدقاء جمال هذه الجزيرة. وبالنسبة لي فإنني لم أعرفها إلا من رواية ومن فيلم "الفهد" الذي أخرجوه عنها.

قالت "أريان" بدعابة خفية:

– لدرجة أنك خشيت أن تحبط لدى وصولك؟

– بالضبط! ربما أضيف أنه العكس؟

لقد نطق هذه الجملة الأخيرة وهو ينظر إليها نظرة سريعة. هل يرغب في أن يخبرها أن مقابلتهما هي التي توضح انجذابه إلى "صقلية"؟ ربما...

– ربما لن تقضي هنا إلا إجازة صغيرة لكونك طبيبا؟

نعم ولا... لا أعلم بالضبط متى سأعود إلى "فرنسا". هذا يرجع إلى سرعة التقرير المكلف به بشأن أمراض العظام والذي يجب أن أنتهي منه قبل الخريف. والبروفيسور "رومانو" سيتفضل بإعطائي نصائحه.

أذعن الجراح وهو يشير إلى كفاءة "فريدريك".

طوال بقية السهرة تحدث الطبيب والفتاة معا. لقد حدثها عن عائلته التي تعود بجذورها إلى "أورليانز"، وعن والده الدبلوماسي في "ستوكهولم"، وعن الود الذي استقبله به البروفيسور و"أورلاندو". ومع ذلك لاحظت "أريان" أنه يتجنب الحديث عن نفسه.

عندما افترقا لم يذكر للحظة احتمال مقابلة الفتاة مرة أخرى.

قالت "بولينا":

– إنه عطوف أو بالأحرى مدهش. هذا رأيي على الأقل.

كانت الاثنتان تقفان على باب صالة الطعام بـ"كارمونت". لقد فتحت "أريان" الحجرة الكبيرة تكريما لصديقتها وطفليها.

سألت "بولينا":

– وأنت ما رأيك في "دابويسلوركو" هذا؟

مد "ألسندرو" يده بملعقته إلى "أريان" التي أمسكتها وهي تبتسم. ثم أجابت صديقتها في النهاية:

– لا أعلم. إنه يبدو لي ودودا ومتحفظا في الوقت نفسه. على أية حال لديه شخصية قوية وهذا لا يمكن إنكاره!

ألقت الكونتيسة "كورزيني نظرة حادة على "أريان" كما لو أرادت أن تخترق أفكارها، ثم استدارت. صبت الفتاة القهوة المعطرة في قدحين من البورسلين.

قالت "بولينا" فجأة:

– لأنه حدثني عنك كثيرا.

– من؟ "دابويسلوركو"؟

– بالتأكيد. لقد حكى لي عن الطريقة العجيبة التي تعرفتما بها إلى بعضكما.

– ولكن يا "بولينا" متى رأيته؟ مساء أمس؟ إنه يبدو لي...

قاطعتها الكونتيسة:

– لقد قضى هذا الصباح في "مونريل" وشكرني على السهرة، وبسرعة تحدثنا عن صديقتنا المشتركة: أنت.

– لم أعرف أنه اعتبرني صديقة.

– أتفتقدين إلى الثقة بنفسك بالمصادفة؟ يا لك من مخطئة! على ما فهمت فإن اليوم الذي تقابلتما فيه هنا أيضا كان يوم الحريق الأخير؟

– هذا صحيح. لكنني لا أرى ما علاقة هذا بذاك.

– في هذا اليوم أدرك "فريدريك" أن هناك شيئا على غير ما

يرام. بما أنه سألني فلم يمكني سوى إجابته. تحدثت عن الحرائق والشكوك المحيطة بالماڤيا ويبدو أنه أخذ هذا مأخذ الجد.

سألتها "أريان" ببطء:

– آمل ألا تكوني قد ذكرت الصعوبات المادية التي تواجه الضيعة؟

في هذه اللحظة لم تكن تتمنى شيئا سوى ألا يعرف الطبيب بهذا الموقف المخزي. هزت "بولينا" رأسها.

– أعلم أنني مخطئة، لكنه سألني أسئلة مباشرة... باختصار أخبرته بكل شيء. لقد أخطأت، أليس كذلك؟

نهضت "أريان" فجأة وأخذت تغدو وتروح في الغرفة حتى قالت:

– كلا، لم تخطئي. إنه سيعلم بالأمر بطريقة أو بأخرى. وبم أجابك؟

– لن تصدقيني، لقد حول مجرى الحوار وبدأ يتحدث عن أعمال البروفيسور "رومانو" وعن تقريره.

قالت "أريان" لنفسها: "فريدريك دا بويسلوركو" اهتم للحظة بأميرة "كارمونت" ثم لما علم أنني محطمة لم يعرني أي اهتمام. إنه صريح على الأقل. ماذا كنت أتوقع؟ صاعقة حب كما أراها في الروايات الفرنسية التي أترجمها؟ وحتى إذا أحبني فماذا سيغير هذا؟

كانت الفتاة في المكتبة تعيد قراءة كتاب الحسابات. لقد رحلت "بولينا" مع طفليها منذ أقل من ساعة. لما رأت

الكونتيسة حزن صديقتها وربما لتغفر لها طيشها اقترحت على "أريان" جلسة سينما لا تتوقف يوم الأربعاء القادم في "باليرم" وهذا يعني أنهما سيحضران فيلمين متصلين بعد الظهر كما كانتا معتادتين في وقت دراستهما بـ"باريس"، وقد وافقت "أريان". كيف تتضايق من شخص تلقائي وكريم مثل "بولينا"؟

أغلقت دفتر الحسابات. إنها تحفظه عن ظهر قلب. استندت "أريان" إلى المكتب ونظرت إلى لوحة أمامها: أسد يرقص وسط النيران. ربما كان الأسد يمثل الضيعة، والنيران هي نيران الحرائق.

طرق أحد على الباب. رفعت "أريان" رأسها وقالت:

– ادخل.

أطلت "روساريا" من خلال الباب.

– هناك شخص يريد مقابلتك.

فكرت الفتاة في الحال في "سكاريو". لابد أنه أتى لإكمال مهمته. من ناحيتها فإنها لم تغير رأيها. نظرت إلى المربية باستغراب.

قالت هذه الأخيرة:

– شخص يدعى "دا بويسلوركو".

دهشت "أريان" وأشارت لها بأن تدخله. تقدم نحوها وهو يبتسم واتجه ناحية المكتب. أعجبت من داخلها بأناقة ملبسه ووسامته. جلس إلى الكرسي التي أشارت عليه به، ثم عقد ساقيه وأشعل سيجارة بعد إشارة من رأس "أريان". صمتت وهي تنتظر أن يوضح لها سبب زيارته المفاجئة.

– كان يجب حتما أن أراك بسرعة، وسمحت لنفسي بالطرق على بابك. ليس مجديا- على ما أعتقد- أن أبحث عن مدخل لكلامي، وفضلت أن أبدو مباشرا... هذا ما أتى بي: في الصباح تحدثت إلى صديقتك الكونتيسة "بولينا".

– بالفعل، لقد أخبرتني.

أخذ نفسا من السيجارة، وأصبح وجهه الوسيم جادا حينما أكمل:

– وأظن أنها أخبرتك بالأسئلة التي طرحتها عليها؟

سألت الفتاة نفسها: «ماذا يريد؟ أيريد أن أتحدث عن صعوباتي المادية؟».

أجابته بنبرة فحواها السخرية:

– "بولينا" تذكر ما تريد مع من تريد! لقد خصصت كل الحوار لشخصي المتواضع.

مال الشاب نحوها دون أن يبدو متضايقا من هذه الوقاحة شبه الخفية.

واصل الطبيب حديثه:

– اسمعي، لست هنا لكي أحتال عليك. "بولينا" حكت لي كل شيء: الحرائق التي تشتعل بلا سبب على أراضيك، والوكيل الذي استولى على ثروة أبيك، وأنك ستضطرين في غضون أقل من شهر إلى بيع "كارمونت". إنني أعلم كل شيء يا "أريان"... إنني أريد مساعدتك.

اعتدلت ودهشت لأنه ناداها باسمها للمرة الأولى.

– ماذا تريد بالضبط؟ أقصد هل تنوي؟

– أعتقد أنه ينبغي أن أحدثك أولا عن نفسي وعن عملي. أقصد تخصصي في الطب هو الأهم بالنسبة لي. إذا كنت قد أتيت هنا فهذا من أجل تمضية الإجازة والفراغ من التقرير الذي أخصصه لـ"أكاديمية الطب". هذا سيستغرق مني شهرا أو شهرين. بدأت عملي كممارس عام ثم تخصصت في أمراض العظام. عملت في "باريس" في فريق البروفيسور "كومو" الذي تعرفينه بالتأكيد.

قالت وهي تسعى لإيجاد علاقة هذا بـ"كارمونت":

– نعم يتحدثون عنه كثيرا بالنسبة لجائزة "نوبل".

– حدث أن حقق البروفيسور "رومانو" في تخصص الجراحة الكثير وتعتبر أبحاثه مكملة لأبحاث "كومو" الذي كلفني بالتعاون معه. التعاون بينهما مفيد للجميع ويحقق اكتشافات كثيرة. في السنوات القادمة سأضطر للإقامة في "باليرم" إلى حد ما.

من المنطقي ألا يؤثر هذا الخبر على "أريان"، لكن علمها بأن "فريدريك" سيعود إلى "صقلية" سبب لها فرحة غير متوقعة. أطفأ الطبيب سيجارته وتوقف عن الكلام قبل أن يستطرد مرة أخرى:

– أما الآن فإنني أسكن في "باليرم" بفندق قريب من ميدان "بريتوريا". لكن...

توقف من جديد. لكنه نهض في هذه المرة واقترب من الفتاة

التي لم تتحرك من مقعدها. كان وجه "فريدريك" أعلى وجهها كما لو كان سيقبلها، وفجأة تراجع وقال:

– في ذلك اليوم الذي رأيت فيه "كارمونت"... القصر، الشرفات، التماثيل، حمامات السباحة الجافة... ما لا تعرفينه بلا شك– لأنه كان سيصبح فظا إذا قلته في وقت مبكر– هو أنني ثري. إذا كنت حدثتك عن هذا الآن فهذا لأنني سأعترف لك: "أريان" إنني أريد "كارمونت".

كان هذا غير متوقع حتى إنها ظلت صامتة من أجل هذا أتى وسأل "بولينا" عنها. إنه يريد أن تبيع له الضيعة! ما السبب؟ نزوة... أريد "كارمونت": نزوة رجل ثري منحته الحياة كل ما كان يتمناه بلا شك...

سألته بنبرة باردة:

– وماذا ستفعل بها؟ مقر إضافي فاخر؟ مأوى سلام بين مجموعتين طبيتين؟

– سأجعلها منزلي. سأصلح القصر وأعيد رسم الحدائق وتأثيث الغرف الفارغة. ستحيا "كارمونت" كما كانت في أزهى عصورها. ستوجد مرة أخرى خيول في الإصطبلات. لن أغير شيئا. أما بخصوص الفلاحين فإنهم سيحتفظون بمزارعهم وأراضيهم المؤجرة. سأحاول تنظيم دورات حماية من الحرائق المحتملة، وهذا لا يمكنك القيام به إذا سمحت لي بقول هذا.

– خلاصة الأمر تريد أن تلعب دور السيد المالك؟ منذ عدة أيام أتاني وكيل عقارات... وأعتقد أن موقفك كان أشد قسوة

من موقفه!

كادت أن تصرخ وتحاول أن تحشر كلمات محرجة في كل جملة. نظر إليها دون أن يتخلى عن هدوئه:

– لومك غير صحيح، وأنت تعلمين هذا. إنني أمنحك فرصة غير منتظرة وأنت تترددين. يتبقى أمامك بالكاد شهر وتحبين التضحية بهذه الضيعة عن التنازل لي عنها... يا للكبرياء والعناد!

لا، إنها ليست كبرياء "أريان" التي تعاني. إنه شيء آخر: الصورة التي رسمتها عن "فريدريك" والأمل الذي عقدته عليه، لكنها عزمت على أن تخفي عنه هذا أو أن تسعده بأن تبدو متأثرة.

أجابت بنبرة باردة جدا:

– إنني غبية جدا بالقدر الذي يبدو لك. إنني أدرك أن اقتراحك هو الوحيد الذي يصلح من بين كل عروض الشراء التي قدمت إليّ.

كانت ستضيف أنها وافقت عندما بادرها قائلا:

– لكن من الذي كلمك عن بيع "كارمونت" إليّ يا "أريان"؟ إنني آت لطلب يدك للزواج.

*****

في المساء كانت "أريان" لاتزال مستيقظة وهي جالسة على

سريرها دون أن تقرر إطفاء النور. كانت تدخن سيجارتها الثالثة وهي لا تدخن عادة. منذ أن رحل "فريدريك دا بويسلوركو" إلى "باليرم" لم تكف عن التفكير في عرضه. كانت تشعر في الحقيقة بأنها تعيش حلما حقيقيا «لم أره إلا ثلاث مرات ولا أعرف أي شيء عنه وياتي لطلب يدي للزواج...» إنه لم يتحدث عن مشاعره، ولم يتكلم إلا عن مهنته، والسحر الذي يشعر به نحو "كارمونت". لم ينطق كلمة "حب" واحدة... تذكرت نهاية حوارهما.

– لا شيء يجبرك على الزواج بي.

– بالفعل، لكنني متمسك به يا "أريان"... لست قبيحة ولا حمقاء، ستصبحين كونتيسة "دا بويسلوركو".

فكرت في قرارة نفسها بسخرية: «يا للرقة! لا يمكن أن يكون عاطفيا!».

حاولت أن تمزح:

– هل من عاداتك أن تسرق كل الأميرات المحطمات اللواتي تقابلهن أو أنها المرة الأولى؟

أجابها بابتسامة باهتة:

– خمني.

نهضت وأطفأت مصباح الغرفة وأفزعها صوت مواء: إنه "موسكا". لقد عاد وقفز على السرير إلى جانبها وكأنه يعتذر. إنها لم تعط ردها لـ"فريدريك دا بويسلوركو".

الفصل الرابع

بعد ظهر يوم الأربعاء غزت مجموعة من البشر شارع "الحرية". خرجت "أريان" و"بولينا" من السينما وعبرا إلى الناحية الأخرى من الشارع، حيث يوجد بوتيك المدبوغات. أعجبت "بولينا" بحقيبة كبيرة من الجلد الأسود، ثم جذبت صديقتها إلى شارع "نوتاربارتولو" الذي توجد به سيارة الفتاة. لقد حضرت الصديقتان فيلمين لـ"ڤيسكونتي" التي يبهر جمالها "بولينا".

قالت "بولينا":

– هل رأيت مشهد زلاجة الجليد؟ مدهش، أليس كذلك؟

أجابت "أريان" بشرود وهي تفتح باب سيارتها:

– نعم.

– في المرة القادمة أحب رؤية فيلم الفهد كما قال "فريدريك" من قبل.

– "فريدريك"! لنتحدث عنه!

انطلقت الفتاة بسيارتها فجأة حتى إن "بولينا" نظرت إليها:

– أتقبلين المجيء معي؟

– لا أعلم بعد... "روساريا" كل من أشركه في طلب الزواج هذا يجد أنه مناسب. لكنني... تصوري ما قام به "فريدريك"! إنني أتساءل عن السبب.

– إنك ظالمة. إنه رجل...

– رائع... أعلم أنك قلت لي هذا من قبل.

– كوني منطقية يا "أريان"! كنت مستعدة لعمل أي شيء منذ عشرة أيام لإنقاذ "كارمونت"... والآن رجل جذاب وذكي يطلبك للزواج.

فرملت الفتاة عند الإشارة الحمراء واستدارت نحو صديقتها. كانت عيناها الزرقاوان مغشيتين بالدموع وهمست:

– ألا تفهمين؟ ألا تفهمين أن ما يؤلمني أنه سيتزوجني بقصد الشفقة؟

– هذا عبث. إنني متأكدة أن هذا خطأ. شفقة وماذا هنالك أيضا؟

– حتى لو كان هناك سبب آخر– نزوة مثلا لامتلاك "كارمونت" – فإنني...

– إذا كان يريد الضيعة فقط لكان عرض عليك شراءها.

– ربما. أحس أن الأمر معقد... لا يهم.

كانت ستضيف أنها تتذكر المرة الأولى حينما قدم نفسه إليها على أنه "بيير دوڤال" خشية أن يضايقها باسمه الأرستقراطي. إن ما جذبها هو هذا الرجل وليس من قرر الزواج بها.

*****

بعد العودة إلى "كارمونت" صعدت الفتاة إلى حجرتها واتصلت بالرقم الذي تركه لها "فريدريك" عند رحيله. لم

يتركها عامل تليفون الفندق كثيرا.

سألها "فريدريك":

– هل فكرت؟

– نعم... ولكن أريد أولا أن أعرف...

توقفت عن كلامها وقلبها ينبض بشدة. تركت الصمت يطول: «جملة واحدة أو كلمة واحدة...» كانت هكذا ترجوه أن ينطقها الآن أو لن ينطقها أبدا إذا كان يشعر نحوها بالشفقة فقط.

سألها أخيرا:

– ماذا تريدين؟

– لماذا تريد الزواج بي؟

– أعتقد أنني أخبرتك بهذا من قبل: إنني أريد من ناحية أن أكون سيد "كارمونت" ومن ناحية أخرى أرى من الطبيعي أن تبقى مالكتها لا توجد وسيلة أخرى للتوفيق بين الاثنين إلا زواجنا.

– ألهذا السبب فقط؟

– نعم.

لقد صفعها، وأحست ليس بالخزي فقط ولكن بالمعاناة الخافتة. صمتت ثم انطلقت العاصفة بداخلها.

– في مثل هذه الظروف يا "فريدريك" لا أريد أن أكون...

ترددت لحظة وهي تبحث عما يهينه بقدر ما أهانها:

– لا أريد حقيقة أن أكون زوجتك.

لم يجبها أولا ثم ردَّ عليها بنبرة باردة:

– وبعبارة أخرى لا ترغبين في أن تكوني زوجتي جسمانيا؟

– نعم.

خرج الطبيب عن تحفظه وقال لها بنبرة غير مبالية:

– ليكن. أوافق إذا تمسكت به. شريطة أن يبقى هذا الأمر سرا بيننا.

قالت له ببطء وهي تحاول السيطرة على نفسها حتى لا تبكي:

– وأنا بدوري موافقة.

مر الأسبوع التالي بسرعة مدهشة. سعدت "روساريا" بهذا الأمر. لم ترد "أريان" أن تحزنها بكلامها عن ظروف هذا الزواج. حاولت الفتاة في وجودها أن تبتسم مثل المخطوبة التي ستتزوج قريبا بالرجل الذي تحبه. أحيانا كانت تحاول أن تتعقل أليس هذا ما كانت تريده: إنقاذ "كارمونت" باي ثمن؟ لكن هذه الفكرة لم تشعرها بالارتياح.

لم يبد أقارب "أريان" أيضا متبصرين بالأمر مثل المربية. هنأ "أورلاندو" نفسه على هذا الخبر وأعلن لمن يسمعونه أن الاثنين قابلا بعضهما بمنزله. دهشت "بولينا" من قرار "أريان" المفاجئ لكنها أوضحت لها أن شجارا بلا أهمية هو الذي جعلها تعارض "فريدريك".

كان الفلاحون والمزارعون يذهبون كل يوم إلى القصر ليعبروا عن فرحتهم لـ"أريان". لم يشعروا بالقلق لدى علمهم أن زوج المستقبل ثري. ذهب "فريدريك" إلى منزل كل واحد منهم من

أجل تنفيذ استراتيجية عامة ضد الحرائق واكتسب شعبية كبيرة بينهم. حتى الكاهن "دون باسكول" اتفق مع رئيس الخدم في الرأي على أن "فريدريك" هو "الزوج المثالي" تمت الخطوبة في القصر في محيط ضيق جدا ارتدت "أريان" فستانا من الحرير الأزرق والأبيض وكانت تجسيدا للشباب والجمال. ومع ذلك لم يبد لها أي إعجاب، وكان وسيما جدا في حلته الزرقاء وتحدث إلى "أورلاندو" و"بولينا" ثم إلى "روساريا" و"دون باسكول"، ومن وقت لآخر كان يتصدق على "أريان" بنظرة شبه ساخرة وغير مبالية... لقد قدم إلى الفتاة خاتما كبيرا من الألماس اشتراه من محل أفضل جواهرجي في "باليرم" وهو يقول لها:

– فيما بعد عندما أعود إلى "فرنسا" سأحضر لك الخاتم الزمردي لجدتي من ناحية الأم التي منحتني إياه لأهديه إلى زوجتي... هذا سيكون خاتم الخطوبة الحقيقي الذي سيجعلك كونتيسة "بويسلوركو" في المستقبل. ستحتفظين بالخاتم الألماس كذكرى لمقابلتنا الأولى.

كان صوته رقيقا وهو ينطق بهذه الكلمات. اعتقدت الفتاة للحظة أنه سيغير موقفه تجاهها. لكنه استطرد بنبرة متكلفة:

– إنني متأكد أن والداي سيسعدان بهذا الزواج.

«هذا هو اهتمامه الوحيد إذن...» أجابت بنفس البرود:

– إنني دهشة لأنهما لم يحضرا خطوبتي... ألم تخبرهما؟

– بلى، أو بالأحرى، حاولت أن أفعل هذا ولكنني لم

أنجح. إننا الآن في شهر يوليو (تموز) حيث يغادران كل عام سفارة "فرنسا" في "استوكهولم" للقيام برحلة. إنهما يقومان برحلة بحرية الآن في البحر المتوسط مع بعض الأصدقاء السويديين والفرنسيين. اتصلت أكثر من مرة بـ"كريت" و"أثينا" حيث يعتادان النزول، ولكن بلا فائدة... هذا غير مهم.

– آمل أيضا أن يستطيعا حضور زواجي.

– أنا أيضا يا عزيزتي "أريان". أظن أنني سأنتهي للحاق بهما قبل اليوم العشرين من شهر أغسطس (آب).

*****

أزف يوم الزواج. لقد صنعت "روساريا" بنفسها فستان الفتاة. حضر حفل الزواج "أورلاندو" وابنا عم "فريدريك"، ولم يستطع والداه الحضور، وبعد تردد ارتأى "فريدريك" أنه لن يؤخر تاريخ الزواج وقال لـ"أريان" حينذاك: «يجب أن تسوي هذه المسألة بسرعة جدا». لاحظت الفتاة تعبير هذه المسألة، فقد كان يتحدث عنها كأنها أمر قضائي أو إجراء بلا أي اهتمام.

بعد الاحتفال ذهب الجميع إلى القصر حيث كان ينتظرهم الطعام. كانت صالة الطعام تكفي بالكاد كل الحاضرين هذا غير الأصدقاء المقربين والبروفيسور "رومانو" وأصحاب عائلة

"كارمونت" والبروفيسور "كومو" الذي أتى بناء على دعوة "فريدريك". وذهب أيضا ما يقرب من خمسين مؤجرا للأرض.

لاحظت "روساريا" أن الطبيب يبدو ودودا مع الجميع عدا زوجته عندما أتى وقت الرقص افتتحه "فريدريك" مع "أريان" وهو يهمس في أذنها.

– لقد أعددت لك مفاجأة رحلة عرس... آه، نعم. سنذهب إلى شرق هذه الجزيرة إلى "إتنا". أيعجبك هذا؟

– آه، نعم! منذ وقت طويل وأنا أرغب في رؤية هذا البركان وضواحيه.

– عظيم. لكن للأسف لن نبقى به إلا أربعة أيام.

هل فعل هذا عن عمد ويتلاعب بقسوة معها؟ قالت متلعثمة:

– لماذا؟

بدلا من أن يجيبها شدها إلى رقصة الفالس وكان يبتسم، ولكن هل يبدي هذه الفرحة لأن الجميع ينظرون إليه؟ قال أخيرا:

– لأنني لا أريد التغيب كثيرا عن "كارمونت".

قالت في نفسها: «لقد تزوجني بالفعل من أجل الضيعة».

– لماذا؟

– الصيف أصبح حارا جدا وأخشى أن تشتعل حرائق جديدة سواء عن عمد أو بالمصادفة. سنرحل في صباح الغد وسنعود الأربعاء القادم. سأعقد اجتماعا هناك أيضا مع المؤجرين

والمزارعين وسنقرر فيه الإجراءات التي سنتخذها.

بالتأكيد كانت تستحسن هذه الطريقة النشطة لحل المشكلة حتى لو لم يستشرها. من الواضح أنه فعال جدا عما هي. لكنه يعاملها بطريقة جامدة.

سألته بشغف:

– "فريدريك" إذا لم أكن أميرة "كارمونت" هل كنت ستتزوجني؟

كان سؤالها يتضمن توسلا خافيا. كانت تنتظر الرد بفراغ صبر... تفحصها لحظة كما لو كان يقرأ أفكارها:

– لا، بالتأكيد لا.

إذا كان "فريدريك" ظل وهما أخيرا للفتاة فإن كلماته البسيطة كانت تكفي لتدميرها.

الفصل الخامس

سارا نحو الجانب الشمالي باتجاه الشرق حتى نهاية الفترة الصباحية. كان "فريدريك" يقود بسرعة و"أريان" صامتة دون أن تعير اهتماما بالخارج. كانت السيارة "الكوبيه" الرياضية تطير على الطريق باتجاه "كاستروريل" وهي المرحلة الأولى للرحلة. كانت "أريان" تلقي من حين لآخر نظرة سريعة على من أصبح زوجها. في هذه الليلة– ليلة العرس– قرر أن ينام في

إحدى غرف الطابق الثاني بالقصر مراعيا وعده... نظرت إليه من جديد. كان شبه مبتسم.

سألت نفسها: فيم يفكر؟ في هذا الزواج غير الكامل؟ أو ماذا سيفعله بطريقته بشأن تنظيم عمله بين "باريس" و"باليرم"؟ في ضيعة "بويسلوركو"؟ إنه يبادر بالرحيل إلى "فرنسا" بلا شك الآن لأنه تأكد من امتلاك "كارمونت"... يمكنه أن يقضي ستة أشهر هنا وستة أشهر هناك. هل أقام علاقة؟ أو عدة علاقات؟ مع شكله الوسيم يصبح الافتراض الثاني هو الأقرب.

عندما فرمل أمام فندق فخم وعصري بوسط المدينة ونزلت من السيارة بدا لها أنها تدخل في أتون بالنسبة لداخل السيارة المكيفة. كانت الرابعة بعد الظهر حيث كانت الشمس في أوجها. وبعد قليل صعدا إلى الحجرة التي حجزها "فريدريك". عندما دخلاها أشعل الأخير سيجارة بينما بدأت "أريان" تفتح حقيبة سفرها. قال لها ملاحظا فجأة:

- تلاحظين بلا شك يا عزيزتي أننا سنتقاسم هذه الغرفة لمدة ثلاث ليال. لم يمكني بالطبع حجز غرفتين منفصلتين. بما أننا مسجلون في سجل الفندق باسمي فإنه سيكون غريبا أن ينزل زوجان شابان في غرفتين...

سألته بنبرة أرادت أن تجعلها غير مبالية:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

لا شيء يا عزيزتي، لا شيء.

أشار إلى أريكة من القطيفة الزرقاء أمام النافذة:

- سأنام عليها وتنامين على السرير... والآن هلا تمشينا قليلا بالخارج. لا أريد البقاء هنا.

*****

أشعل الطبيب سيجارة جديدة ولم يكن مهتما بـ"أريان"، بل كان كل اهتمامه منصبا على مشاهدة الملابس المعلقة على أسياخ حديد. لقد توقف أكثر من مرة أمام معرض للشمام والبطيخ.

عندما وصلا إلى المسرح اليوناني- مفخرة كارومينا- الذي كان يطل على البحر أعجبت "أريان" بهذا المشهد.

استدارت هذه الأخيرة نحو "فريدريك" وتساءلت عما إذا كان يشاركها إحساسها.

كان واقفا إلى جوارها وهو صامت وأخيرا همس:

- أتعرفين لماذا يجذبني هذا البلد بطريقة مدهشة؟ هذا المزيج الذي يجذبني: هذه الأرض التي غزاها على التوالي اليونانيون والرومانيون والبيزنطيون والعرب والنورمانديون والألمان والفرنسيون والإسبانيون والإيطاليون... هذه السمة الكبيرة لعظمة هذا البلد.

وفجأة أضاف:

- وأنت يا "أريان" من أنت؟... كائن بوجوه عدة أنت

أيضا...

– لماذا تقولين لي هذا؟

– لا أعرف. إنها فكرة طرأت ببالي الآن. إنك كائن يعيش بروحين من الثلج والنار.

اضطربت واقتربت منه وتساءلت: «إنه يعيرني بعض الاهتمام إذن؟» لكنه كان قد استعاد هيئته الساخرة.

بعد مرور ساعة كانت السيارة تجري بين أشجار الكروم والنخيل. وراء الطريق المتعرج كان هناك قمة مخروطية عظيمة لـ"إتنا" وكان اليوم قد انتهى بمجرد أن وصلا أسفل البركان أوقف "فريدريك" السيارة بفرملة كبيرة ودعا "أريان" بإشارة من يده إلى اتباعه بالخارج.

لم يتح الوقت لأن تخطو خطوة. وبشكل مفاجيء ومثير جذبها "فريدريك" نحوه واحتضنها وقبلها. قاومت "أريان" في البداية ثم سرعان ما استسلمت لقبلته، وكما احتضنها فجأة دفعها فجأة.

تذكرت في الحال– وكأنه حلم– مقابلتهما الأولى والحزن الذي أصابها عندما أخبرها بأنه لم يتزوجها إلا لامتلاك "كارمونت" كما تذكرت إحباطها في كل مرة يشعرها بالإذلال... هل هذا هو الحب؟ هذه المعاناة، هذا الانقسام؟... لكن ربما يكون هناك أمل؟

جلست إلى جواره في السيارة كانت عيناه مصوبتين على البركان ويتظاهر بأنه لا يلمحها.

قالت بصوت مرتعد:

– "فريدريك"، إنني...

قاطعها بجفاء:

– اصمتي. سنعود الآن. سنصل في منتصف الليل.

قالت بدهشة:

– كيف؟ لكن "تاورمينا" على بعد دقائق...

– إنني أتكلم عن "كارمونت".

– يجب أن نبقى حتى الأربعاء يا "فريدريك"!

– غيرت رأيي. سنمر على الفندق لنأخذ أمتعتنا ونسوي حساب الغرفة. سنرحل في الحال.

سألت بدهشة:

– لماذا؟

امتنع عن الرد بينما كانت السيارة تشق طريقها. قالت في قرارة نفسها: إنه لا يتحمل فكرة أن يقضي ثلاثة أيام معي لماذا كانت هذه القبلة إذن؟ لكي يدفعني عنه، أو لكي يلعب معي؟ أو لكي يحصل على دليل بأنني أحبه؟

*****

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي بغرفتها في "كارمونت" لم تصدق ما حدث ليلة البارحة. لقد سارا جزءا كبيرا من الليل بعد أن تناولا عشاء سريعا في فندق "كارومينا".

لما كانت متعبة لأنها لم تنم إلا ساعتين أو ثلاث ساعات أخذت حماما باردا لكي تريح أعصابها، وارتدت تنورة وبلوزة من القطن وتعطرت ثم نزلت إلى الصالة.

قابلت "روساريا" التي قبلتها، وقالت المربية:

– هكذا حصلت على قسط من الراحة. السيد "دابويسلوركو" أخبرني بأن أتركك تنامين حتى الظهر وهأنت تستيقظين... إنها لم تتجاوز التاسعة!

إن اهتمامه جعلها تشعر بالدهشة مما جعلها تستفسر عن مكانه.

– أين هو الآن؟

– ذهب للقيام بجولة في المنتزه مع الكلب. إنه سيعود بالتأكيد... أخبرني كيف حالك؟

– إنني بخير جدا. لماذا تسألين؟

– أردت محادثتك عن أزمة كبدك.

– "روساريا"، إنني لا... ماذا حكى لك "فريدريك"؟

– إنك شعرت بألم بسيط لدى وصولك "تاورمينا"، وأنك فضلت العودة.

كان هذا تبريره إذن للعودة السريعة بعد رحلة لم تستغرق أربع وعشرين ساعة!... ترددت لحظة؟ هل يجب قول الحقيقة لـ"روساريا"؟ لاحظت وجه العجوز الذي يبتسم لها برقة لا، هذا سيجلب لها المشقة. ليس مجديا أن تحزنها. ثم إنها كفيلة بحل مشاكلها بمفردها.

سمعت من بعيد صوت نباح. دخل الكلب "فولبون" وارتمى عليها، وبعد ثوان دخل القط "موسكا" بدوره.

– يا لها من لوحة نفيسة!

استدارت ووجدت "فريدريك" أمامها وقبل أن ترد عليه أضاف:

– تعالي، أرجوك. لدينا زيارة لقد وصل والداي.

أسفل الشرفة الموجودة أمام روضة اليوسفي ركنت سيارتهما. لاحظت "أريان" – وهي تتبع "فريدريك" وتنزل درجات السلم– الوافدين الجدد. كان السيد "بويسلوركو" رجلا في الستين من عمره وذا شعر رمادي تقدم نحو ابنه وهو يبتسم كانت السيدة "دابويسلوركو" البالغة من العمر خمسين عاما جميلة جدا.

عندما قبل "فريدريك" أباه تولى عملية التقديم: مال الماركيز "دابويسلوركو" أمام "أريان" وقال ملاحظا:

– هذا الزواج غمرني بالارتياح يا "أريان"، هل يمكنني مناداتك هكذا؟

– بالتأكيد.

أما السيدة "دابويسلوركو" فقد صافحت يدها بلا ود ولكن بلا عدوانية أيضا.

توجه الأربعة إلى داخل القصر.

سأل "فريدريك" وهو يفتح باب الصالون:

– كيف تصرفتما للعثور علي؟

أجاب والده:

– إنها قصة طويلة. لقد وصلنا إلى "أثينا" متأخرين عدة أيام. ظللنا في "كريت" وقتا أطول مما كان مرسوما له لكي نزور الجزيرة. وفي فندق "أثينا" وصلتنا رسالتان منك تخبرنا بأن أهل الاستقبال ينتظرنا.

جلس السيد "دابويسلوركو" في كرسي قريب من "أريان" بينما جلست زوجته على الأريكة الزرقاء إلى جوار "فريدريك" الذي قال ملاحظا:

– على ما فهمت فإنني قد حسبت خطأ؟

– بالضبط، في الرسالة الأولى أخبرتنا بخطوبتك إلى "أريان"، وفي الثانية كان الزواج في يوم السبت الماضي وفي الصباح... يوم السبت في الوقت الذي قرأتها، السادسة بعد الظهر...

واصلت زوجته:

– وحينذاك أخذنا أول رحلة إلى "باليرم" ونحن نعلم أن حفل الزواج فاتنا. وصلنا صباح أمس ونزلنا في فندق قريب من الكاتدرائية. اعتقدنا أنكما رحلتما في رحلة زواجكما. لكننا أتينا بالمصادفة في هذا الصباح.

أكمل السيد "دابويسلوركو":

– هذا صحيح. خسارة إنه فاتني حفل زواج ابني الوحيد!

– وأنا كذلك.

– اعلم يا أبي أن هذا الزواج لابد أنه بدا سريعا لك. وأعترف أنه كان ينبغي لي أن أختار وقتا آخر غير وقت رحلتكما

البحرية... لكن كان يجب التصرف بسرعة. ليس بسبب ما يمكن أن يعتقده البعض ولكن لأسباب خاصة بوضع "كارمونت"... سأوضحها لك فيما بعد.

قال الأب بسعادة:

– على أية حال. إنني سعيد حقا من أجلك يا عزيزتي "أريان" ومن أجلك أنت أيضا يا "فريدريك"... آمل أن تأتيا عما قريب إلى "بويسلوركو". سنقضي بها شهر أكتوبر (تشرين الأول) وهناك يمكنني أن أتعرف أكثر إلى زوجة ابني الجميلة.

سألت "أريان" وهي محبطة قليلا وكانت رقة حميها قد أشعرتها بالارتياح:

– أتنويان الرحيل مبكرا؟

– نعم. اليوم. لقد أتينا في زيارة خاطفة لنرى "أريان" ونخبرك بكم سعادتنا. يجب أن أعود إلى "ستوكهولم" هذا المساء، فلدي مهمة دبلوماسية على أعلى مستوى.

قال "فريدريك" مازحا:

– لن نقول أبدا كم أن الدبلوماسيين مسؤولون! بالنسبة لتمضية شهر أكتوبر (تشرين الأول) في "دابويسلوركو" معكما، فليس لدي أي مانع فيما عدا لو احتاجني البروفيسور "رومانو" في "باليرم". حتى ذلك اليوم سأنهي تقريري لأكاديمية الطب. وأنت يا "أريان" ما رأيك؟

– ستسعدني الإقامة هناك بالتأكيد.

في هذا الوقت، تدخلت السيدة "دابويسلوركو" التي لم تكن

تكلمت كثيرا:

– يا عزيزتي "أريان"، لا أعلم تقريبا شيئا عنك. كنت أحب أن تريني صورك في طفولتك وصور أسرتك. هلا تركنا "أدموند" و"فريدريك" يتحدثان معا؟

فهمت الفتاة من كلامها أنها مجرد حجة لبقة، وأن حماتها تتمنى رؤيتها على انفراد، فاجابتها:

– بالتاكيد. هيا بنا.

نهضت وتبعتها الماركيزة "دابويسلوركو" وتركتا الصالون، وتساءلت في نفسها عما تريد حماتها محادثتها بشانه.

سالتها حماتها وهي تصعد السلم مع "أريان":

– أين يمكننا التحدث دون أن يزعجنا أحد؟

– في حجرتي.

لم يتبادلا كلمات كثيرة حتى فتحت "أريان" بابها وأدخلت حماتها أولا وأجلستها أمامها على كرسي بجانب السرير:

قالت أم "فريدريك":

– والآن، لابد أنني أبدو لك باردة وجافة، أليس كذلك؟

أجابتها "أريان" بلباقة:

– أتفهم جيدا أن سرعة هذا الزواج قد فاجأتك.

هزت الماركيزة سلسلتها بيد عصبية:

– لأنني– كما ترين– مضطربة جدا... ولحقيقة القول لا أعرف كيف أوضح لك ما يشغلني...

من الواضح أنها صادقة. لكن ما الذي يزعجها إلى هذه الدرجة؟ «لا أعرف إلا إذا نجح "فريدريك" في محادثتها عن عدم وجود حياة زوجية بينهما». كان هذا تفكير الفتاة. ارتأت من الحكمة أن تنتظر وألا تسبق الأحداث. قدمت السجائر لحماتها التي أخبرتها بأنها لا تدخن وأشعلت سيجارة لنفسها.

قالت السيدة "دابويسلوركو":

– في أثناء حوارك مع زوجي لاحظتك يا "أريان". إنك جميلة ومشرقة ولديك كثير من السحر... أو بالأحرى تمتلكين كل شيء لكي تكوني الزوجة المثالية لابني.

ارتجفت "أريان": ماذا تعني بـ"تمتلكين"؟

واصلت حماتها الحديث:

– يجب أن أحدثك بسرعة والآن. قد يبدو غيابنا عجيبا إذا طال. وفي خلال لحظات سنرحل أنا وزوجي إلى "باليرم" حيث نأخذ الطائرة إلى "ستوكهولم"...

قالت "أريان":

– إنني مصغية إليك.

– أولا.. دعيني أخبرك بأنني متأسفة عما كشفته لك... وأندم عليه، لأنك تبدين لي عطوفا للغاية والفكرة التي وصلتك بأنني لا أرتاح لك تبدو لي بشعة... لكن كان يجب أن أفعل هذا، أتفهمينني؟

لقد نطقت كلماتها بشيء من الإقناع حتى إن الفتاة ارتعدت

رغما عنها دون أن تعرف ما قد جرى، فقد أحست "أريان" أن الخطر يتهددها. لقد كبرت السيدة "دابويسلوركو" فجاة عدة سنوات.

– "أريان"، أيمكن أن أطرح عليك سؤالا قد يبدو غير لائق؟

أشارت الفتاة برأسها إشارة إذعان.

– كنت أريد أن أعرف.. تزوجت ابني منذ يومين، وهذا الزواج قد تم، أليس كذلك؟

– هذا إذن؟ هل اعترف "فريدريك" لأمه؟ قررت أن تكون صريحة:

– كلا، لم يحدث شيء بيننا. وأنا التي تمنيت هذا.

ظهر وميض الدهشة على عيني السيدة "دابويسلوركو":

– حقا؟ عفوا، لم أكن أعرف هذا... وتنوين كما تقولين أن يطول هذا الوضع؟

ترددت الفتاة. ماذا تريد منها بالضبط؟ إنها لم تعد متأكدة من قراراتها الخاصة؟ إن امتناعها عن "فريدريك" ليس الوسيلة الأكيدة لأن تفقد فرصتها في أن يحبها؟

قالت:

– لا أعلم، لم أعد أعلم.

كانت توشك أن تدمع وقد لاحظت هذا السيدة "دابويسلوركو" ومالت عليها وهي تمسك يدها.

– أريدك أن تفهمي أنني لست عدوتك... لكن يجب أن

تعرفي... أنه لا يجب يا "أريان" في أي حال من الأحوال أن تستسلمي إلى "فريدريك" حتى لو قرر فيما بعد أن يتخذك زوجة حقيقية.

لقد توقعت الفتاة كل شيء عدا هذا.

سألت بصوت واضح:

– لكن لماذا؟

– سأوضح لك معنى هذا.

الجزء الثاني

الحب المجروح

الفصل السادس

ما الساعة الآن؟ ربما وقت الظهيرة... لقد أطلت الشمس بأشعتها على أشجار الصنوبر والزيتون. كانت الحرارة ثقيلة. تركت "أريان" نفسها تسقط على العشب الجاف. لقد كانت عطشى ومنهكة. أين توجد الآن؟ لاحظت المشهد الخلاب من حولها: هذه التلال تميز آخر الضيعة من جانب القرية؟ منذ متى وهي تجري هكذا؟ لم تكن تعرف. كانت تعرف فقط أنها الآن على بعد أقل من كيلو متر من القصر.

سألت نفسها: «لماذا هذا السباق الشاق؟» وفجأة رأت وجه حماتها والقلق باد عليها.

تذكرت كلام حماتها: «لابد أن أعترف لك». تعترف بماذا؟ الأمر يتعلق بـ"فريدريك"... لا يجب أن يكتمل زواجهما وللمرة الثانية لماذا؟ أمسكت "أريان" رأسها بيديها. حاولت أن تتذكر. لكنها فشلت. ليس من الممكن أن تنسى شيئا بمثل هذه الأهمية. ومع ذلك تذكرت ما قد سبق، لكن بخصوص هذه النقطة كانت ذاكرتها فارغة. حاولت من جديد أن تستجمع ذكرياتها لكنها كانت تعود دائما إلى نفس النقطة: «لابد أن أعترف لك...» هذه الجملة الملحة ليس لها معنى.

قالت لنفسها: «الشيء الوحيد الذي تفعله هو أن تعود إلى القصر وتسأل حماتها». ذهبت باتجاه القصر ولكنها توقفت

فجأة: «وإذا كانت قد رحلت قبل ذلك إلى "ستوكهولم"؟».

وبدأت تجري وهي مضطربة لهذا الاحتمال.

عندما وصلت أسفل الشرفة تأكدت مخاوفها. لم تعد السيارة المؤجرة في مكانها لقد رحل السيد والسيدة "دابويسلوركو" إلى "باليرم".

صعدت درجات السلم مسرعة ودخلت إلى الصالون الذي كانت قد استقبلت فيه حماها وحماتها، ثم صعدت إلى الطابق الأول، وأخيرا عثرت على "فريدريك" في المكتبة. لم يرفع رأسه لدى دخول الفتاة، ولاحظها فقط دون أن يتوقف عن الكتابة:

– أرى أنك أضعت وقتا طويلا... لا أعرف أين كنت.

سألته بصوت لاهث:

– هل رحل والداك؟

– بالتأكيد. أقلعت طائرتهما في الحادية عشرة والنصف. لقد انتظراك كثيرا حتى يلقيا عليك تحية الوداع.

ثم قال بشكل هجومي:

– فظاظتك لا توصف. هذا الرحيل المفاجئ.

– اسمع، إنه شيء مهم. سأحدثك عنه فيما بعد. ولكن أخبرني أولا: هل قالت أمك شيئا لدى رحيلها، وأن...

– لا، لم تقل شيئا. لقد عادت إلى الصالون حيث كنا جالسين أنا وأبي وأشارت إلى أنك تركتها، وأنك أردت أن تكوني بمفردك.

وضع قلمه على مكتبه واستطرد ببطء:

– ماذا حدث؟ هل تشاجرتما؟

– لا.

أدارت رأسها وهي غير قادرة على المواصلة. رفعت كتفيها:

– إنك شخصية غريبة يا "أريان"...

تجاهلت سخرية هذا الرد وسألت:

– متى سيصل والداك إلى "ستوكهولم"؟

– لا أعرف. لماذا؟

– كنت أريد اللحاق بأمك بسرعة. اتصل بها.

– تتمنين بلا شك أن تعتذري عن سلوكك؟

– أرجوك...

– أعتقد أنه يمكنك أن تتصلي بالسفارة في صباح الغد. لكنني لا أرى ما الذي يدفعك إلى هذا.

لم تجبه وكان كل شيء مضطربا في ذهنها.

– حسنا، سأذهب لأساعد "روساريا" في تجهيز الغداء..

في أثناء ما كانت تقوم بتقطيع الخضراوات عادت إلى ذاكرتها جملة حماتها.. لم تستطع أن تحتمل وأسرعت بإنهاء عملها ثم صعدت إلى حجرتها وأخبرتهم بأنها ليست جائعة ولن تنزل لتناول الغداء. إن التواجد مع "فريدريك" أصبح مؤلما بالنسبة لها حتى لو كان وجود "روساريا" إلى المائدة يجنبها أن تتواجد معه وجها لوجه يجب أولا أن تستوضح ما قد حدث وأن تفهم معنى كلام حماتها.

حاولت أن تتعقل بمنطق. لقد أوضحت السيدة

"دابويسلوركو" هذا وهي متأكدة من ذلك بالفعل. هذا التوضيح تفتقده الآن، ولكن إذا تذكرت بداية الحديث ربما امكنها تذكر ما أفلت منها. هناك شيء يخص "فريدريك" يمثل تهديدا لزواجهما. لكن ما هذا التهديد؟ وما سببه؟ حاولت - بلا جدوى- أن تكرر على مسامعها كلام حماتها، ولكنها لم تستطع حل اللغز..

*****

في وقت العشاء ذهبت- بحيرة كبيرة تعتريها- إلى صالة الطعام دون أن تعرف إذا كان من الأفضل أن تعترف لـ"فريدريك" أو ألا تصرح له بشكوكها. لقد خرج وذهب إلى "باليرم" عند البروفيسور "رومانو". ظلت بمفردها مع "روساريا" وبالكاد مدت يدها إلى الطعام على الرغم من إلحاح المربية.

في منتصف الليل وحينما كانت نائمة والنور مطفأ انفتح باب حجرتها فجأة. ظهر "فريدريك" على عتبة الباب وتقدم نحو السرير ومال عليها، وفي الظلام قبل خديها. أحست "أريان" بوجوده إلى جوارها وهمست:

- لا.

- لماذا؟

نهضت من على السرير وأضاءت النور:

- لانك وعدتني..

ابتعد عنها ووقف إلى جانب السرير وقال بسخرية:

- لأنني وعدتك بأن يكون زواجا على الورق؟ يا لك من طفلة مسكينة وساذجة!

اعتدلت وقالت بحيرة:

- ولكن يا "فريدريك"...

- لماذا تظنين إذن أنني قبلت هذا الشرط؟ من أجل الاستمتاع بمخالفته بالتأكيد!

وضحك في هذه المرة وظلت تستمع إليه بحزن.

- إذا كنت قد رفضت فإنك كنت سترجعين في رأيك ولن ترغبي في الزواج بي... فكري يا "أريان" قليلا: زواج على الورق، يا للعبث!

- على الرغم من أنه في فندق "تاورمينا"...

- في "تاورمينا". إذا كنت قد اختصرت إقامتنا فهذا لأنني كنت أعلم تماما ما قد يحدث إذا كنا قد تقاسمنا نفس الغرفة طوال ثلاث ليال. إنني أرغبك بشدة يا "أريان"! إنك جميلة وجذابة... ولكن لم أرد في الليلة الأولى أن أفاجئك وفضلت أن أترك لك الوقت لتعتادي فكرة أنك متزوجة. لنعترف أن قليلا من الرجال لديهم مثل هذه الوساوس.

- تتحدث عن الوساوس بينما أنت عاجز عن الوفاء بكلمتك!

- هل أنت حمقاء لتتصوري أنني سأسعد بوجودك الذي لا يقدر وسحر حوارك؟ أو أنني سأعيش كسيد لـ"كارمونت" وأقنع بأن تكون لي زوجة مدهشة دون أن المسها أو أنني سابحث عن

هذا مع امرأة أخرى؟

– لن أطالبك بقسم وفاء أبدا.

في اللحظة التي أطلقت فيها هذه الجملة أدركت أن صوتها مرتعد. هل تشعر حقا بأنها صادقة؟ تخيلت صورة "فريدريك" بين ذراعي امرأة أخرى فرضت نفسها عليها. لا، لن يمكنها تحمل هذا. ماذا تفعل إذن؟ هل تستسلم له؟

أجابها قائلا:

– إنني صبور معك. هذه المناقشة لن تنفعنا في شيء...

واقترب منها بشدة حتى كادت الفتاة تستسلم له. لكن كلام السيدة "دابويسلوركو"... لم يتبق لها سوى حطام هذه الذكرى الملحة التي تأمرها بمقاومة "فريدريك". للمرة الأولى تشعر بأن هناك مانعا يثقل عليها...

وبسرعة قبل أن يلحظ رد فعلها جرت نحو الباب وفتحته وذهبت لتحبس نفسها في حجرة صغيرة قريبة من السلم، وألقت بنفسها على السرير وبدأت تنتحب.

*****

قال صوت ساخر:

– هل نمت جيدا؟

كانت واقفة في المطبخ وتتناول القهوة. إنها لم تغمض عينيها طوال الليل خشية أن يكسر زوجها الباب عليها. لكنه لم يفعل

شيئا. قالت بجفاء لـ"فريدريك":

– نعم، شكرا.

لقد دخل المطبخ في هدوء كما لو كانت عادته حتى يهدئ عصبية الفتاة. في أثناء سهادها كان لديها الوقت لكي تفكر: ما فعلته ليلة البارحة بدا لها الأكثر حكمة. إنها ستتصل بالماركيزة "دابويسلوركو" وتستوضح الأمر منها. يجب بأي ثمن أن تعرف بالضبط طبيعة العقبة التي توجد بينها وبين زوجها. الموقف أصبح خطيرا لأجل أن تنتظر كثيرا.

في هذه اللحظة رن جرس التليفون. قال "فريدريك" ملاحظا:

– إنه البروفيسور "رومانو" بالتأكيد. لابد أن يتصل بي في الصباح.

خرج وأسرعت "أريان" بإنهاء شرب قهوتها وهي تأمل بألا يطول حوارهما حتى يمكنها اللحاق بالسفارة.

عندما عاد "فريدريك" قال لها بفرحة:

– لقد أخطأت، إنه والدي يتصل بي من مطار "ستوكهولم".

– كيف؟

أحست أن أملها الأخير انهار.

– نعم، إنه يريد أن يخبرني أن مهمته ستتواصل حتى "روسيا". إنه ووالدتي ينتظران في "موسكو". كان هذا متوقعا.

قالت بجسارة:

– هل لديك عنوانهما في "موسكو"؟

– لا. سنرى. إنهما لم يعلماني الآن بادق تفاصيلهما.

والداي عظيمان. أراد أبي فقط أن يخبرني وكلفاني بنقل احترامهما لك.

– ومتى سيعودان إلى "ستوكهولم"؟

– وكيف تريديني أن أعرف هذا؟ إنهما سيذهبان بلا شك إلى أماكن أخرى في "موسكو".

– عموما كم تستغرق هذه النوعية من المهام الدبلوماسية؟

– عشرة أو خمسة عشر يوما تقريبا. أخبريني حقا: هل تبدين مغرمة. حقا بوالدي؟ منذ الأمس لم تكفي عن السؤال عنهما...

كانت جملته الأخيرة تحمل نبرة السخرية.

– من الأحسن أن تتكلم عنهما وليس عنا.

انتفض كما لو كان التلميح أفلت منه. ثم قال:

– إنك محقة، إن حياتنا الزوجية بها بالفعل شيء... كارثة!

لم تكن مستمعة إليه فقد كانت غارقة في أفكارها وتحسب بقلق هذه الأيام التي تفصلها عن اللحظة التي يمكنها أن تسأل فيها الماركيزة "دابويسلوركو". إلا إذا نجحت في الكشف عن الحقيقة بنفسها...

صفَّر "فريدريك" للكلب الذي أتاه مسرعا وتبعه القط وتوجه نحو الباب. ترددت "أريان": «خمسة عشر يوما أو عشرة فقط بمفردها. هذا مستحيل... لقد تصرف كما لو كان لم يحدث أي شيء خاص في هذه الليلة وبالتأكيد ينوي أن يكرره... من الأحسن أن أوضح له الموقف بصراحة.

قالت له وهو يهم بالخروج من الغرفة:

– "فريدريك"، لدي شيء مهم أود قوله لك.

استدار وهو دهش وقال:

– إذا كان هذا لترجوني التخلي عن فكرة أن أجعلك زوجتي فإنك تضيعين وقتك هكذا. لن أرثو لحالي أبدا.

– الأمر ليس هكذا بالفعل.

واعترفت له بكل ما تخفيه عنه منذ ليلة البارحة: كلام حماتها وتحفظها وخوفها من هذا التوضيح المؤلم في أن تخونها ذاكرتها.

– إنك طبيب وتعلم أن الصدمة العنيفة على المستوى المعنوي يمكن أن تسبب فقدان ذاكرة جزئيا؟ أخبرني بما تعرفه يا "فريدريك"!

– من الواضح أنه أحد المفاهيم الأساسية للطب النفسي الجسدي... لا أطلب إلا أن تصدقيني لكنني لا أفهم مقصد ما تقولين بالنسبة لما قالته لك أمي. بالمناسبة، ماذا يمكن أن تخبرك به؟

– تلك هي المشكلة، ولكن إذا ساعدتني على الخروج من هذا النفق...

على عكس ما كان متوقعا هدأ "فريدريك" وجلس بالقرب منها إلى جوار مدفأة المطبخ وقال ناصحا:

– لنتصرف بشكل منهجي: أمي عهدت إليك بسر يخصني ويهدد زواجنا، أليس كذلك؟ عظيم. أولا: إنني ليس لدي

أدنى فكرة عما يمكن أن يكون. ثانيا: تتمنى أمي ألا يعرف هذا السر وإلا ما طلبت منك أن تكلمك على انفراد... إن ما يضايقني هو: لماذا لم تقل لي أي شيء وأنا ابنها؟ إننا عادة قريبان إلى بعضنا.

– لم يكن لديها الوقت بلا شك. تذكر أنها كانت لابد أن ترحل بسرعة جدا. هذا ما كان يجب أن يحدث: لقد أرادت أن تحدثني أولا، ثم ظنت– على حسب علمي– أنني سأحكي لك هذا الحوار.

– لنقر بهذا... أظن أنه حتى لو كان هذا السر منيعا فإنك تحتفظين بآثاره في عقلك الباطن، أو بانطباعات سريعة؟

– نعم، هكذا إذن.

– حسنا، أجيبي عن أسئلتي بوضوح قدر المستطاع أولا: هل أنت متأكدة من أن أمي قالت الحقيقة؟

أجابت بلا تردد:

– متأكدة تماما. كان في صوتها نبرة الصدق التي لا تخطئ أبدا. ثم أضيف أنها لم تذكر أمرا مبهما ولكنها أكدت حادثا حقيقيا.

– مدهش، هذا يستبعد مجموعة أمور: قصص العاشقات أو الزواج السري أو طفل غير معترف به أو ماض مشين... لأنني كنت– بالتأكيد– سأعلم به.

انتظر لحظة ثم أكمل باضطراب:

– لكن كل هذا غير وارد. أمي لم تكذب: لاحظت ذلك كما

أنني أعرف أنها غير قادرة على تدبير مكيدة. إنني لم أكذب ولا يمكنني إثبات ذلك، ولكنني أعطيتك كلمة شرف. إنها تعرف شيئا له علاقة بي وأنا لا أعرفه؟ عبث، اعترفي بهذا لم يتبق إلا حل واحد: أنت من تكذبين.

دهشت الفتاة كثيرا، ومن فرط إحباطها اعترضت:

– ما هدفي من وراء سرد مثل هذه القصة؟

– الأمر بسيط جدا: إنها تمنحك حجة ممتازة لكي تمتنعي عني لكنني لا أصدقك الآن! يجب الاعتراف بان كذبتك واضحة جدا وذكية... تهنئتي لم أشك أبدا في ذكائك.

– أؤكد لك أن...

قاطعها بقسوة:

– هذا يكفي.

رمقها بنظرة جامدة وابتعد بخطوات سريعة نحو الصالة دون أن ينطق بكلمة وسمعته وهو يغلق الباب. ثم انطلقت سيارته.

الفصل السابع

صمت "فريدريك". كان الجو باردا بالخارج. أشعلت "أريان" سيجارة بينما وصلت السيارة الكوبية نحو أبواب "كارمونت". لم تكن الفتاة في احتياج إلى أن تستدير نحو رفيقها لتعرف تعبيراته. منذ أن غادرا "مونريل" حيث دعاهما "أورلاندو"

و"بولينا" إلى العشاء لم ينطق بكلمة. على الرغم من أنه كان يبدو مبتسما وودودا مع مضيفيه إلا أن القناع سقط بمجرد العودة. من الواضح أن "فريدريك" لم يغفر لـ"أريان" ما قد اعتبره كذبة.

بعد مناقشتهما في الصباح ذهب إلى "باليرم" ليزور المرضى بصحبة البروفيسور "رومانو" وفريقه. عندما تعشت مع "روساريا" أخذت الفتاة بدورها طريق المدينة لتقوم بالتسوق كما كانت عادتها كل ثلاثاء.

وفي أثناء سيرها تقابلت مع "سكاريو" الذي حياها باهتمام وعرض عليها أن يصطحبها بسيارته لما رآها تحمل لفافات كثيرة لكنها رفضت بأدب متعللة بأن سيارتها مركونة على بعد دقائق لم يبد أن "سكاريو" متضايق منها لأنها لم تبع له "كارمونت" الأكثر من ذلك أنه سألها عن أخبار الضيعة وهو يلوم بشدة المافيا المسؤولة عن الحرائق على حسب رأيه وهناها على زواجها.

لدى عودتها إلى القصر بدأت تترجم الروايات الفرنسية وهي بالتأكيد لا تحتاج إليها من الناحية المادية حيث إنها متزوجة بـ"فريدريك دابويسلوركو" ولكنها عزمت على الاحتفاظ بهذه الوظيفة حتى لا يتكفل بها زوجها تماما.

حينما كان "فريدريك" عائدا ذات مساء كانت "بولينا" قد اتصلت لتلقي دعوة مفاجئة. لقد ترافع "أورلاندو" بنجاح في قضية كانت تشغله كثيرا. لقد نوت "بولينا" الاحتفال بالحدث.

لقد وافقت "أريان" بسعادة وهي مرتاحة لعدم تمضية الأمسية

وجها لوجه مع زوجها. إنها لا يمكنها أن تتحمل مرة أخرى أن يتهمها بالنفاق وهي تعرف مقدما أنه لن يصدقها مهما قالت. كان العشاء مبهجا أو هكذا يبدو.

في نهاية العشاء همست "بولينا" في أذن "أريان":

– أشعر بأنك على غير ما يرام. إذا كنت ستشعرين بالارتياح لأن تتحدثي معي بشأن ذلك فلا تترددي في المجيء لرؤيتي عندما تريدين. إنني مستعدة دائما للاستماع إليك ومساندتك.

شكرتها الفتاة بإشارة من رأسها: وقالت في قرارة نفسها: «لا يمكن أن يساعدها إلا صديقة. سأطلب نصيحتها ولكن ليس على الفور. يجب أن أنظر إلى الأمور بنفسي».

اصطحب آل "كورزيني" "أريان" و"فريدريك" إلى سلم الفيلا وهما يمسكان طفليهما بذراعيهما يا لها من صورة مثالية للسعادة الأسرية. ذكرت "أريان" نفسها بمرارة أنها لن تعرف هذا أبدا مع "فريدريك".

كان "فريدريك" صامتا دائما وهو يفرمل سيارته أمام السلم المؤدي إلى الباب الرئيسي للقصر. قال وهو يصعد درجات السلم إلى جوار الفتاة:

– غدا سيعقد اجتماع المزارعين الذي قررته في يوم زواجنا. كنت أحب أن تحضريه.

كان يتحدث بنبرة الرئيس الذي يحدث سكرتيرته مستخدما الكلمات المحددة.

ردت عليه بنفس النبرة:

– جميل منك حقا. سآتي بالتاكيد.

دون أن تستدير نحوه عبرت الصالة. كانت خطواتها ترن على البلاط الرخام. لما وصلت إلى الطابق الأول تحت "فريدريك" وهو واقف في الصالة. أطلقت تنهيدة ارتياح: في هذه الليلة وفر عليها مشهدا عنيفا مثل مشهد ليلة البارحة.

وبدون أن تسمعه يقترب لحق بها فجاة أمام باب حجرتها ودفعها إلى الداخل وأغلق الباب بقدمه. كان يمسكها بقوة وحاولت أن تتخلص منه لكن بلا فائدة:

– اتركني، هذا ما قلته لك هذا الصباح...

– تبا يا "أريان"، هذا يكفي! تكفي هذه الكوميديا حتى الآن.

قالت له متوسلة:

– عشرة أيام. امنحني فقط عشرة أيام حتى يمكنني أن اسأل أمك!

– صه. لدي ما يكفي من ريائك! سرّ يؤلمك... أتظنينني احمق؟ لقد ابتدعت حكاية هذا السر الغامض.

– لا، وأنت تعرف هذا!

– ما أعلمه هو أن لديك عقبة هذا الحب الجسماني! لكني لن أتركك لحالك هكذا. وحاول تقبيلها لكنها ابتعدت عنه وحينذاك قال بغضب:

– إنك لا تشعرين بشيء أبدا.

حملقت إليه دون أن تفهم: «إنه لم يدرك إذن...؟ إنه لا

يعرف أنه يزعجني وأنني أقاومه رغما عني لأنني أحبه...»

لأول مرة تقرأ الكراهية في عيني "فريدريك".

– يمكنك أن تطمئني. لن أغتصبك! إنني لا أرغب امرأة جامدة.

وبعد هذا الاتهام تركها وأغلق الباب خلفه. لقد أتعب الظلم والقسوة غير الإنسانية لـ"فريدريك" الفتاة التي لم يكن لها القدرة على البكاء.

*****

قال "فريدريك" باللغة الإيطالية:

– والآن اتفقنا على الإشارة التي نستخدمها فيما بيننا مع ظهور الإشارة الأولى للحريق، ويتبقى لنا معرفة الجناة.

لقد انعقد مجلس حرب بالفعل في صالة الطعام الكبيرة بالقصر مع بداية فترة الظهيرة. جلست "أريان" إلى جانب زوجها وهي تلقي نظرة على المشاركين- كان هناك خمسون فلاحا من الضيعة والمحيطين بها ومعهم "دون باسكول". لقد وضع المجلس تحت قيادة "فريدريك" الأسلوب الذي ستتم به مقاومة الحريق: دوريات مراقبة في الأوقات التي تكون قنوات الري جافة. حاولت "أريان" ألا تفكر فيما حدث في تلك الليلة والتركيز على موضوع المناقشة. كان "فريدريك" يتحدث بقوة وذكاء، كان لابد أن تعترف هي بذلك.

www.rewity.com

قال "دون باسكول" ردا على سؤال "فريدريك":

– الجناة؟ لقد تحدثت بشأن هذا مع "أريان" ومازلت متمسكا به: أعتقد أن الماڤيا هي الجاني.

تدخل مزارع من القرية.

– نعم، ولكن ما هدفها؟

اعترف "دون باسكول":

– لا أعرف.

قال المزارع "ألدو":

– على أية حال رجال الماڤيا يتواجدون في المنطقة ولدينا الدليل على ذلك الآن. في الأسبوع الماضي قرأت في الجريدة أنه تم العثور على رجل مقتول بالقرب من "مونريل". إنها تسوية حساب بلا شك. لم يسمع أي شخص به في حين أنه تم بالقرب من المزرعة. إنه "عمل" محترفين ومن المحتمل أن يكون بمساعدة المدفع المنشور؟

سأل "فريدريك":

– المدفع المنشور! ماذا يعني؟

أوضح "ألدو":

– إنها عادة "صقلية". إذا نشرت فوهة مدفعك يعطيك تراجعا مخيفا في اللحظة التي تطلق فيها، ولكن ميزته أن الطلقة صامتة.

أكمل مزارع آخر:

– هذا صحيح، ولا يوجد غير أعضاء الماڤيا الذين يصوبون

بهذه الطريقة. الشخص المغتال بالقرب من "مونريل" لا يثبت شيئا.

سأل "دون باسكول" "ألدو":

– ألا يوجد شهود في هذه القضية؟

– لا يوجد غير قانون الصمت. لم ير أحدا أو يسمع شيئا. الناس يخشون الانتقام لأن الشرطة لن تحميهم.

قال "فريدريك":

– باختصار يحتمل أن تكون الماڤيا هي المسؤولة عن حرائق "كارمونت". ونحن لا نعرف السبب.

ثم سأل وهو يستدير نحو "روساريا":

– هل لديكم فكرة؟

عضت "أريان" شفتها. إذا كان هناك أحد فيجب ألا يتحدث عن هؤلاء اللصوص سوى المربية. ومع ذلك أجابت بصوت عادي:

– ليس لدينا أي فكرة يا سيدي الكونت. لكنني أعتقد أنها الماڤيا. لدي هذا النوع من الغريزة في التعرف عليهم. الكراهية مثل الحب تمنح الحدس.

دهش "فريدريك" دون أن يلمح الإشارة التي قامت بها "أريان" له لتحذره من هذه الأسئلة التي قد تجرح المربية:

– لماذا تكرهينهم هكذا؟

– لأنهم قتلوا ابني وزوجته منذ سنوات. كان الاثنان يعملان في "باليرم" وكانا متزوجين حديثا...

www.rewity.com مـــرويـــة

بدا الانكسار على صوت المربية. وضعت الفتاة يدها على يد المربية لتواسيها ثم جففت المربية عينيها وأكملت:

– ذات مساء كان ابني "چيوڤاني" وزوجته "أورنيلا" ذاهبين لتناول العشاء في مطعم صغير بالقرب من ميدان "كاتروكانتي" حيث لا يوجد أناس كثيرون. علمنا بعد ذلك أن صاحب المطعم ينتمي إلى الماڤيا. باختصار عندما وصلا كان قد انتهى تراشق الرصاص ومات صاحب المطعم. لكن "چيوڤاني" و"أورنيلا" شاهدا القتلة وحينذاك تم قتلهما ببرود. هذا ما قالته لنا الشرطة.

دخل "فريدريك" إلى المكتبة حيث كانت "أريان" تكتب على الآلة الكاتبة نص ترجماتها. منذأن انتهى المجلس منذ ساعة قررت أن تبدأ عملها.

سألها حينما دخل:

– أتعتقدين أنني آلمت "روساريا" بشأن سؤالي؟

– نعم. إنها لا تحب الحديث عن هذه الذكرى الأليمة.

– إنه خطؤك. كان يجدر بك أن تخبريني.

– إنك لم تترك لي الفرصة لأن أحدثك بهدوء.

فضل "فريدريك" أن يحول مجرى الحديث:

– أردت أن أخبرك بعد الاجتماع بأنني تحدثت طويلا مع "الدو" والآخرين وأوضحوا لي الصعوبات التي تواجههم، وقدم المنازل، والأسطح المتهدمة... لقد تحدثت توا مع مقاول من "باليرم" وستبدأ الأعمال مع بداية الأسبوع القادم. من ناحية

أخرى هذا القصر يحتاج إلى الترميم وقد أشار البروفيسور "رومانو" عليَّ بعناوين بعض المكاتب المتخصصة في هذه المهمة. يمكن البدء في هذا عما قريب.

يستحسن أن نستصلح المنتزه ونعيد تخطيط الأراضي، ونصل الماء إلى حمامات السباحة قبل أن يتحول كل هذا إلى حالة مزرية. ساعتني بكل هذا بداية من الغد.

رفعت عينيها بدهشة إليه لأن هذه المرة الأولى التي يطلب فيها رأيها. بماذا يمكنها أن تجيبه إذا كان سيحقق لها ما كانت تحلم به بالنسبة لـ"كارمونت" دون أن يكون لديها الموارد المادية لتتكفل هي بذلك؟ كان يستلزم أن تعترف بأنه محق وبأنه أظهر صفات جديرة بالإعجاب.

– إنني أثق بك تماما.

– حسنا، لكنني أود أن تأتي معي إلى "باليرم" لدى المقاول الذي حدثتك عنه. سنناقش معا التصميم. إنني أنتظرك بالأسفل.

*****

كان الشفق يزين التلال عندما كانت السيارة الكوبية تعبر حاجز المنتزه. لقد ازدادت دهشة "أريان" من موقف "فريدريك" يبدو أنه أدرك أخيرا أن الفتاة كائن حي وليس شيئا. لقد استشارها أكثر من مرة عن عدد الخدم الذين يجب أن يعملوا

www.rewity.com

في القصر بحيث يساعدون "روساريا" و"جيوسيب". لقد حدد الرقم عندما سمعت صرخة تدوي في الخارج وتوقف "فريدريك". مرة أخرى خرقت الصرخة صمت الريف. خرجت "أريان" و"فريدريك" من السيارة في نفس الوقت.

كانت الصرخة آتية من وراء حاجز أشجار السرو ناحية اليمين خلف حقل القمح. سلك الاثنان الطريق المؤدي إليها. عندما وصلا على بعد عدة أمتار من الأشجار دوت الصرخة مرة أخرى.

قال "فريدريك":

– ابقي هنا، الأمر قد يكون خطيرا. سأذهب بمفردي.

هزت رأسها وتبعته. إذا كان هناك مخاطرة فلابد أن تشاركه فيها: لقد رأت رجلين ينقضان على فتاة تعيسة على الأرض وكانت تصرخ من الفزع. انقض "فريدريك" بدوره على أحد المعتدين الشابين ووجه لكمة قوية إلى وجهه وتلقى الآخر نفس المصير. تابعت الفتاة عارية اليدين مجرى الشجار بمزيج من الإعجاب والقلق فقد كانت تخشى أن يخرج أحد الشابين سكينا ليطعنها بها. لكن بعد تبادل قصير للكمات هربا في سيارة صغيرة مركونة خلف الأشجار.

مال "فريدريك" – الذي تمزق قميصه– على الضحية في نفس الوقت الذي مالت فيه "أريان" عليها.

كانت مراهقة في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرها ذات شعر أسود طويل، وكانت تنتحب بعصبية وقد تمزق فستانها.

قال لها "فريدريك" بهدوء:

– اهدئي. لم يفعلا بك أي شيء.

ساعدها على النهوض ووضع سترته على كتفيها وحينذاك قالت:

– من أنت؟

– طبيب. وها هي زوجتي. سنعيدك إلى منزلك.

استدارت المراهقة نحو الفتاة وابتسمت:

– إنني أعرفك. إنك أميرة "كارمونت". الجميع يعرفونك في المنطقة.

سألتها "أريان":

– كيف حالك؟

– أشعر بالخوف لكنني بخير الآن.

جففت دموعها وسارت إلى جانب الفتاة ومشى "فريدريك" بجوارهما.

قالت "أريان" مفسرة:

– سمعنا صرختك وكنا نسير بسرعة لكننا توقفنا في الحال. من هذين الولدين؟

– لا أعرف كنت في "باليرم" أنتظر الأتوبيس لأعود إلى منزلي في الطرف الآخر من المدينة. لم يأت الأتوبيس وتأخرت في العودة، ويضربني والدي لدى تأخري. وحينذاك مر الولدان بسيارتهما الحمراء وعرضا علي توصيلي. كانا يبدوان لطيفين ووافقت وبدلا من أن يسلكا طريق "ڤيكتور إيمانويل" خرجا من

"باليرم" وضحكا ثم...

نصحها الطبيب قائلا:

– لا تفكري في هذا مرة أخرى.

وصلوا أمام السيارة وصعدت المراهقة إلى الخلف بينما أدار "فريدريك" المحرك وسألها عن مكان إقامتها:

– في شمال "باليرم" شارع الإمبراطور "فدريكو". والدي لديه صيدلية. بالمناسبة أدعى "چينا باسي"... يا إلهي عندما يعرف والدي فماذا سيفعل بي؟

قالت "أريان":

– سنوضح له أنك لست هاربة. إنك غير حذرة فقط، هذا كل ما في الأمر.

– هل ستتحدثان إلى أبي؟

– بالتأكيد.

بعد مرور ربع الساعة كانت الشمس تغرب على التلال المحيطة بـ"باليرم" وفرملت السيارة الكوبية أمام صيدلية صغيرة. شدت المراهقة سترة الطبيب الممزقة عليها وأمسكت يد "أريان" ودخلت الصيدلية ودخل "فريدريك" في أعقابها. كان وراء الرف يوجد رجل في الأربعين من عمره وعلى ما يبدو كان مظهره لم يسغ مخاوف "چينا"، ونظر إلى المجموعة بدهشة:

– "چينا"! ماذا فعلت؟ سأغلق البوتيك!

تدخلت "أريان" حينما كان الصيدلي يتفحص ملبس

المراهقة:

– لقد وعدنا ابنتك أنك لن تزجرها.

– سأقول لها ما كان يجب قوله يا سيدتي. يا لسلوكها المرفوض! ماذا حدث؟ أنا... ألست ابنة الأمير "أمبرتو كارمونت"؟

– بلى، وها هو السيد "دابويسلوركو" زوجي.

لقد نطقت لقبه بهذه البشاشة التي أدهشتها هي نفسها. بينما كان زوجها يحكي للصيدلي ما حدث أحست بإحساس السعادة يتزايد بداخلها. هل هذا بسبب الشجاعة التي أظهرها "فريدريك" أو الموقف المتسامح الذي أبداه ناحيتها منذ هذا الصباح؟ لم تكن تعرف. في هذه اللحظة أحست بقدرتها على مقاومة غزو حب "فريدريك" والاحتفاظ به. في غضون عدة أيام ستعرف الحقيقة من أمه وستتغلب على هذه العقبة مهما كانت.

قال الصيدلي عندما أنهى "فريدريك" سرده:

– يا سيدي، لقد أنقذت ابنتي. طالما لا ترغب في أن تعاقب بسبب تهورها فإنني لن أعاقبها. هذه طريقتي لكي أثبت لك امتناني.

تنهدت "چينا" تنهيدة ارتياح أسعدت "أريان"، قال الصيدلي:

– ومع ذلك فإن ما فعلتماه سيادتك وزوجتك بمثابة دين عندي. إذا احتجتما إليَّ ذات يوم فإنني مستعد لذلك. شكره

"فريدريك" وكذلك "أريان" لأنها كانت تعلم أن مثل هذا الحادث في "صقلية" يتعلق بشرف العائلة.

*****

قال "فريدريك" ملاحظا وهو يدير سيارته:

– أعتقد أن الوقت تاخر لأن نذهب إلى مقاولنا. سنعود غدا ما رأيك؟

أذعنت موافقة كان الليل قد حل. إنهما لم يستطيعا رفض دعوة الصيدلي في تقديم وجبة خفيفة وكافة أنواع المشروبات وذلك بعد أن قدم لهما بقية الأسرة التي كانت كثيرة.

وصلا إلى حدود القرية نحو العاشرة مساء. قرر "فريدريك" أن يسلك طريق الشمال حتى يعود بسرعة. لقد اعترف وهو يضحك أنه تاخر في إنهاء فصلين في كتاب أمراض العظام.

– يجب أن أعمل بجدية إذا أردت أن أنتهي في الخريف وإلا فإن البروفيسور "كومو" يقول لـ"رومانو" أن...

توقف فجاة وتسمرت ضحكته على شفتيه وأشار بعد ذلك إلى يسار الطريق من ناحية "أريان" التي نظرت بدورها. لقد اشتعلت أشجار الزيتون.

الفصل الثامن

طوال الليل كان "فريدريك" و"أريان" يقاومان الحريق وسط أهل القرية ومزارعي الضيعة لأن النار لم تكتف بالتوجه نحو وسط "كارمونت" ولكنها انتشرت نحو القرية في الشمال. كما لوحظ بعد ذلك أن ثلاثة منازل مختلفة اشتعلت في نفس الوقت. شهدت "أريان" انهيار مبنى "جيري" صغير.

وعلى الرغم من مجهودات "فريدريك" مع الفلاحين فإن ألسنة اللهب استمرت في الاشتعال بالليل على بعد عدة كيلو مترات...

أخيرا تم السيطرة على الحريق مع ظهور أول ضوء للفجر. لما تاكد "فريدريك" و"أريان" أنه لا يوجد أي ضحايا عادا إلى القصر متعبين. عندما استيقظت في صباح اليوم التالي اعتقدت الفتاة أنها كانت تحلم: لم تكن موجودة في غرفتها ولكن في غرفة زوجها الذي كان متمددا إلى جوارها. لقد كان نائما مثلها بملابس ليلة البارحة. ارتجف لما رآها تتحرك وفتح عينيه ثم قال بصوت ناعس:

– نعم، عندما عدنا في الفجر مررنا أمام بابي ووقعت بين ذراعي إحساس غريب، لم أر أبدا أحدا ينام واقفا.. حملتك إلى سريري ثم قلدتك في النوم.

من جديد كانت لديه مثل هذه الابتسامة التي تظهر في ذات

الوقت السعادة والرقة. إنه هو "فريدريك" هذا الذي تحبه ويمنحها الرغبة في الضحك والبكاء في نفس الوقت. جلس على السرير دون أن تبتعد عنه وقال برقة:

- "أريان" كنت فظا معك.

بماذا تجيبه؟ في هذه اللحظة كانت مستعدة لأن تغفر له كل شيء. أحست بتناغم تام معه كما لو لم يحدث معها من قبل.

- كنت فظا للغاية. كنت أموت من الرغبة... وأتبعها دائما، لكني لن أحاول التصرف معك مثلما تصرفت؛ لأنني فهمت أمورا في هذه الليلة.

- أية أمور؟

- صدقك وشجاعتك لما رأيتك تقاومين النار بين المزارعين أدركت أنك امرأة لا تتراجع أمام الخطر. وحينذاك قلت لنفسي إنك لم تكذبي عليَّ. إذا كنت قد قاومتني فقط خوفا من الحب الجسماني فإنك اعترفت به صراحة. إنك لم تختلقي قصة السرّ المؤلم هذه إنني أصدقك الآن.

أحست بالدموع تتلألأ في عينيها: دموع الفرحة والارتياح. نهض واقفا ربما ليتجنب نظرة الرثاء:

- الوقت تغير، لدي موعد مع المزارعين لتقدير خسائر الحريق. استريحي طوال هذا الوقت.

بعد أن انصرف نظرت إلى نفسها في المرآة وارتات التعب البادي على عينيها. دخلت إلى الحمام وملأت المغطس بالماء ثم نزلت فيه وقالت في قرارة نفسها: «كم كان موقف "فريدريك"

ممتعا في هذا الصباح! الآن لم أعد أخشى شيئا». وماذا عن الخطر الذي يحوم حول علاقتهما الزوجية مثلما قالت السيدة "دابويسلوركو"؟ إنه- بلا شك غير خطر تماما، ومن المحتمل أن يكون دعابة بسيطة، ولكن لا يهم! هذا لا يعتد به كثيرا مادام "فريدريك" قد أدرك أنها ليست كذبة. لكن ماذا عن الصدمة النفسية التي تعانيها؟ إن كل استنتاجاتها منطقية حتى الآن لكن هناك ضررا: إذا كان السرّ الذي يثقل كاهل "فريدريك" غير مهم فلماذا إذن كل هذا الألم الذي تشعر به؟ إنها لا تعرف جيدا التحليل النفسي لكن لديها ما يكفي لأن تعرف الإجابة: لا ينسى المرء بهذه الطريقة شيئا أو حدثا إلا عندما يرفضه بكل قوته، وعندما لا يكون مقبولا تماما يتخلص الضمير من كل أثر له. وهذا الحدث- الذي خدشته الذاكرة- كامن في اللاوعي ويظهر أحيانا في شكل أحلام أو ذكريات مضطربة.

لقد أدركت هذا في كل مرة يحاول فيها "فريدريك" أن يعاملها كزوجته بقوة. قالت لنفسها: «إنني أدور في دائرة مفرغة». لقد خطرت على ذهنها مجموعة من الأفكار: لقد فكرت الآن في الأحلام. وفي هذه الليلة رأت حلما يكمن فيه الحل: إنها متأكدة من ذلك الآن. أي حلم؟ «مسرح... إنه مسرح...» ممثلون يؤدون مسرحية وجملة من النص جعلتها تبكي. أي مسرحية؟ مسرحية "فيدرا". هذه المسرحية التي تحبها بنفس القدر. قالت في قرارة نفسها: «عبث، لابد أنني أخطأت». ثم تذكرت الجملة كانت "فيدرا" تتوجه إلى أختها

"أريان" وتقول: «"أريان" يا أختي أي حب مجروح...».

خرجت من الحمام. لابد أنها ارتكبت خطأ. لقد اتضح الحلم تماما: كانت "أريان" تحمل نفس اسمها وكانت مجروحة بسبب الحب مثلها أيضا. هذا ليس له علاقة بكلام السيدة "دابويسلوركو"...

نزلت إلى المكتب حيث جهزت لها "روساريا" وجبة إفطار شهية قالت ملاحظة بدعابة:

– إنك ستجعلين وزني يزيد.

– هذا لن يضرك.

رفعت الفتاة كتفيها بسعادة وفكرت في "فريدريك": في هذا المساء ستصبح زوجته وستعترف له بانها تحبه دائما وماذا عنه؟ «إنه لا يحبني بلا شك. لكنه يبدي رقة نحوي وما فعله هذا الصباح يثبت ذلك».

قالت المربية ملاحظة:

– أخبريني، إنك سعيدة اليوم...

– إنني أفهمك: الحريق. وصدقيني لقد عانيت بسببه. لكن هناك "فريدريك" الذي أحبه يا "روساريا".

– ألاحظ ذلك...

– لكن الأمور ليست بسيطة بيني وبينه.

اقتربت "روساريا" وداعبت شعر الفتاة:

– سعادتك يا "أريان" هي الشيء الوحيد الذي يهمني.

أمسكت "أريان" يدي "روساريا" ومررتهما على خديها

بحركة اعتادتها. من النادر أن يعبر عن الحب الذي بينهما بالكلمات. حلمت الفتاة لحظة: في هذا المساء ستقول لـ"فريدريك"... «لا. لن أقول له شيئا. يجب أولا قبل أي شيء أن أعرف الحقيقة. وبعدها سأصبح زوجته. «في خلال عدة أيام ستعود السيدة "دابويسلوركو" إلى "ستوكهولم" وستتصل بها. وستعرف أخيرا.. يجب أن أتحلى بالشجاعة وأنتظر».

وفجأة تذكرت جملة "فيدرا" في المسرحية. وفي هذه المرة فهمت "أريان" ما قد أصابها بالاضطراب في حلمها. صاحت:

– لا، ليس هذا! هذا سيكون بشعا جدا!

نهضت بسرعة حتى كاد كرسيها يقع إلى الوراء وانقلب كوب القهوة على الأرض. لم تسمعه "أريان" فقد كانت ترتعد بشدة رويدا رويدا. خرق كلام السيدة "دابويسلوركو" ذاكرتها. كان المشهد يدور الآن أمام عينيها والآن تعرف كل شيء.

*****

عادت الماركيزة "دابويسلوركو" من "موسكو" في حالة حزن صعب عليها أن تخفيها عن زوجها طوال الأيام العشرة التي حضرت فيها دعوات العشاء الرسمية مع دبلوماسيي "الكرملين" قامت بزيارة المدن التي ارتأت أنها شائقة في ظل ظروف أخرى. إنها لم تكف عن التفكير في ابنها وزوجته. كان الظهور في مثل هذه المناسبات يتطلب منها السيطرة على نفسها وكانت

تظن أنها غير قادرة عليها. وفي المساء عندما تتواجد مع زوجها بمفردها كان لابد أن تستمر في أداء نفس الدور.

لأن "أدموند دابويسلوركو" هو آخر شخص يمكنها الإفضاء له بسرها...

منذ أن رأت "أريان" في "كارمونت" شعرت بتعاطف مباشر نحو الفتاة. لكنها كانت تعسة؛ لأنها فعلت ما كان يجب أن تفعله. وماذا عن "فريدريك"؟ كيف سينظر إلى الأمر بمجرد أن تخبره "أريان" بالحقيقة؟ هل سيكرهها؟ هذا الاحتمال هو الذي منعها من الاعتراف له مباشرة. لم يكن لديها القوة لمواجهة توبيخاته.

منذ أكثر من ثلاثين سنة لم تعترف لأحد وحتى زواج "فريدريك" بدا أن هذا الصمت هو الحل الوحيد. آل "بويسلوركو" عائلة متحدة وليس لديها أي مشاكل. ثم ذات يوم وصلت هذه الرسالة إلى "أثينا": سأتزوج في العشرين من شهر أغسطس (آب). استحال أن أعثر عليكما قبلها. أتمنى حضوركما ثم تبعه اسم خطيبة "فريدريك": الأميرة "أريان كارمونت". لقد علمت السيدة "دابويسلوركو" الخبر بعد الزواج بأربعة وعشرين ساعة مما يستحيل منعه. لقد بدا السيد "دابويسلوركو" سعيدا. بالتأكيد كيف يمكنه أن يخمن؟

لدى العودة إلى سفارة "فرنسا" بـ"ستوكهولم" في الثالث من شهر سبتمبر (أيلول) لم تستطع السيدة "دابويسلوركو" الانتظار لعدم وصول أخبار عن ابنها و"أريان" بما أنه لا يوجد ما

يمنعها الآن من البقاء في "السويد" أخبرت زوجها بأنها ذاهبة إلى "صقلية" في زيارة قصيرة إلى "فريدريك" وأخذت أول طائرة إلى "باليرم".

*****

حبس "فريدريك" نفسه في المكتبة لينتهي من تقرير أمراض العظام بينما كانت "أريان" خارج القصر بصحبة المهندس المكلف بتجديده، ودهشت لما رأت سيارة أجرة تقف في الممر. استأذنت الفتاة من المهندس وتوجهت نحو حماتها التي كانت قد خرجت من سيارة الأجرة وتوجهت نحوها.

منذ أن عرفت الحقيقة و"أريان" تعيش في ضيق. لقد رفضت في الأيام الأولى أن تصدقها. كانت الصدمة عنيفة للغاية عليها. الآن تعلم أن حب "فريدريك" محظور عليها، وأنها لا تستطيع التواجد معه: إنها ليست متأكدة من نفسها تماما. إنها تخشى أن تستسلم له. عما قريب سيلزم أن تخبره. لكنها حتى الآن لا تجرؤ على ذلك. بمجرد أن تتحدث سينتهي الأمر. هناك هوة يصعب عبورها تبعدهما عن بعضهما.

في النهار كانت تأخذ سيارتها وتمضي ساعات في التجول بلا هدف على طريق "باليرم" أو "مونريل" وهي غير قادرة على البوح لأي شخص مهما كان حتى "روساريا" و"بولينا". وفي المساء تعود متعبة حتى لا تتحمل الأسئلة التي تطرح عليها

حيث إن "فريدريك" لا يفهم سبب اضطراب الفتاة. منذ أن أدرك أنها لم تكذب عليه تغير موقفه تماما. لقد تذرع بالصبر وأبدى رقة كانت تعذبها أكثر مما كان يجب أن يفرق بينهما.

لم تجب حماتها بشيء عندما سألتها بقلق:

– ماذا قال "فريدريك"؟

بدا للفتاة في هذه اللحظة أمل مجنون: «وإذا كنت مخطئة؟ وإذا كانت الحقيقة شيئا آخر؟».

قالت "أريان" لها:

– تعالي، أريد أن نتحدث عن كل هذه الأمور مرة أخرى.

توجها إلى الصالون الأخضر الصغير بالطابق الأرضي وأخذت السيدة "دابويسلوركو" مكانها بجانب النافذة وظلت واقفة أمام "أريان" القلقة بشدة. أوضحت الفتاة أنها لم تقل شيئا لزوجها.

قالت حماتها:

– إنني أفهمك جيدا فقد خشيت أنا أيضا أن أكشف له عن الحقيقة. إنه سيعاني بسببها! وسينهار عالمه.

– وعالمي سينهار أيضا.

– أعلم يا ابنتي... أنك تحبينه، أليس كذلك؟

خفضت "أريان" رأسها واستطردت الماركيزة حينذاك.

– الجرأة ضرورية الآن. تأخير الوقت سيزيد عذابك سأحدثه أنا. لابد أن أفعل هذا بنفسي.

حاولت "أريان" أن تحافظ على هدوئها. في نفس الوقت دخل العجوز "جيوسيب" إلى الحجرة.

قالت "أريان" لرئيس الخدم:

– هلا أخبرت زوجي أننا ننتظره؟

في أقل من دقيقة دخل "فريدريك" إلى الصالون. أظهر وجهه دهشة عندما لمح أمه.

حدث كل شيء بسرعة. اقترب "فريدريك" من المرأتين. كانت "أريان" تقف في الخلف غير قادرة على النطق باي كلمة استندت "دابويسلوركو" إلى النافذة وهي تحكي قصتها بصوت خافت:

– منذ ستة وثلاثين عاما أتيت للاستشفاء في "باليرم" بدون زوجي. كنت مصابة بمرض في الرئة في فصل الشتاء. كان "أدموند" مشغولا بعمله ولم يستطع مصاحبتي. كنا متزوجين منذ فترة بسيطة. زواج عقلاني تم تدبيره من قبل عائلتينا المحترمتين. كنت أقدره كثيرا. لكن بما أنني كنت ذات تربية عالية لم يكن من الطبيعي أن أكون غير وفية له. وفي أثناء حفل استقبال بالعلاقات العامة تعرفت إلى الأمير "أمبرتو كارمونت"... كان عازبا في ذلك الوقت. كان شخصية مدهشة وأحد الرجال الذين لا يمكن نسيانهم حتى لو قابلناهم مرة واحدة في حياتنا.

فهمت في ذلك اليوم ما تعنيه كلمة "الحب من أول نظرة"... رأيته عدة مرات عند هؤلاء الأصدقاء المشتركين. أحسست أنه منجذب إليَّ هو الآخر... فعلت كل شيء لتجنب وجوده. رفضت الذهاب إلى الأمسيات التي كان مدعوا فيها مثلي.

وعزمت على اختصار مدة إقامتي والعودة بسرعة إلى زوجي...
قبل عدة أيام من رحيلي أتى لزيارتي في فندقي ذات صباح وودعني: لقد غادر "باليرم" وعاد إلى ضيعته بـ"كارمونت". لم يقل شيئا ولكنني فهمت ما يحس به. لم يحدث شيء بيننا، لكن هذه المقابلة كانت بمثابة الفراق.

في الأيام التالية عاد إلى "باليرم" وصعد في المساء إلى فندقي واعترف لي بأنه يحبني وأجبته بأنني متزوجة وأنني لا أوافق على هذا الحب من جانبي... لكن العاطفة كانت قوية جدا...
وفي هذه الليلة حدث بيننا ما لا يحمد عقباه...

وفي اليوم التالي عدت إلى "فرنسا" وقررت أن أقطع العلاقة معه. لم أكتب إليه أبدا ولم يعرف أخباري مني أبدا. لم يشك زوجي في شيء. كنت سألحق به ضررا إذا حدثته عن هذه العلاقة العابرة والوحيدة طوال حياتي.

استدارت الماركيزة نحو "فريدريك" وقالت بصوت مبحوح:

- أتفهم الآن؟ إنك ابنه. ابن الأمير "أمبرتو".

رفع حاجبيه بدهشة:

- كيف يمكنك تأكيد ذلك؟

- تاريخ ميلادك لا يدع أي مجال للشك...

اعترض بشدة ليفند هذا الدليل:

- إذا كان هذا صحيحا فإن والدي- لأنني أصر على مناداته بأبي- كان قد لاحظ ذلك.

- لا، لقد اختلقت شيئا لاتقاء أسئلته:

- لماذا لم يتحدث الأمير إلى "أريان" بعد ذلك؟

- لقد قلت لك إنني لم أظهر نفسي له. لم يدر أن لديه ابنا. بالنسبة له كان الأمر مجرد مغامرة بلا نتيجة.

تدخلت الفتاة بدورها وقالت:

- "فريدريك" لا يشبهه.

- إنه أيضا لا يشبه "أدموند دابويسلوركو" كثيرا. قصص التشابه هذه لا تفيد. أنت أيضا يا "أريان" لا تشبهي الأمير.

انسحب الدم من وجه "فريدريك" بالتدريج. كان هذا هدوء أعصاب واضح لدرجة أنه قال:

- لن يحكم عليك أحد يا أمي. أريد فقط أن تعديني بألا يعرف أبي- لأنني أعتبره والدي دائما- هذا الأمر. ليس من العدل أن نتسبب في عذابه. هل تعديني بذلك؟

تلعثمت الماركيزة وهي دهشة من هذه النبرة الباردة والمستحقرة:

- نعم، بالتأكيد.

- أفضل شيء نفعله هو إلغاء زواجنا. سنخترع أي سبب لأصدقائنا. ليس مجديا أن أخبرك بأنني لن أطالب بنصيبي في إرث "كارمونت".

ثم صمت قبل أن ينهي بعدم مبالاة:

- احتفظي به كله.

تفرسته "أريان" بدهشة. لقد توقعت كل شيء: الثورة أو الغضب وليس هذا الموقف المتعاظم...

قالت وهي تحاول كبت دموعها:

– كونك أخا غير شقيق لي هو الشيء الوحيد الذي لا يمكننا عمل شيء حياله، والعقبة الوحيدة التي لا يمكننا تخطيها.

– وبعبارة قضائية: زواجنا باطل. آمل أن تدركي هذا.

– كيف تجرؤ على أن تقول لي هذا؟ منذ ثمانية أيام وهذه الفكرة تتسلط عليَّ! يجب أن ننفصل... يجب أن ننفصل.

ولم تستطع أن تواصل وأسرعت خارج الصالون وصعدت إلى غرفتها.

*****

قالت لنفسها: «لا تفكري فيه، لا تفكري فيما قد يمكن أن يكون. انسي المشاعر التي أحسست بها نحوه».

لم تعد تبكي وهي جالسة على الكرسي الموجود بجانب السرير. كان اليأس قد حل محل نوع من الحزم الذي ربما يكون مؤلما جدا. تركزت عيناها على صورة الأمير "أمبرتو". لقد ألحق هذا الأخير والسيدة "دابويسلوركو" ألما بالفتاة أكثر من "فريدريك" نفسه لكن ليس من المفيد اللوم عليهما الآن. إنهما مسؤولان وليسا مذنبين. الخطأ يقع على من؟ إلى المصادفة التي جعلتنا نتقابل أنا و"فريدريك".

بعد إلغاء زواجهما ستعيش بمفردها في "كارمونت". لكن هل الوقت سيداوي مثل هذا الجرح؟

لم تشعر بأن الوقت يمر فقد فقدت أي معنى بالعالم الخارجي... توجهت نحو الرواق وذهبت إلى حجرة اللوحات لتنظر إلى أمراء "كارمونت" الذين بدوا أنهم يسألونها. هناك شيء انكسر بداخلها.

لقد أكد "فريدريك" أنه لن يطالب بإرثه في "كارمونت". لقد ندمت على ذلك. إنه يستحق أن يكون أفضل مالك لها عني أنا... لكن يبقى في هذا المكان الذي توجد به بعض الذكريات... إنها لن تستطيع. إنها سترحل بعيدا وستبيع الضيعة. الأمور سواء أمامها الآن. نزلت إلى أسفل. فقط "روساريا" هي التي تستطيع أن تفهمها. لم تجدها وذهبت إلى صالة الطعام. لحق بها "جيوسيب" في هذه اللحظة وقال بنبرة يبدو عليها الضيق.

– يا سيدتي حدث شيء خطير.

– آه، نعم.

دون أن تنتظر كثيرا سألته:

– أين السيد "دابويسلوركو"؟ ووالدته؟

– رحلت السيدة في سيارة الأجرة وكلفتني بأن أقول لسيدتي إنها ستبقى عدة أيام في "باليرم".

وأعطاها ورقة مثنية قرأت فيها:

«"أريان":

لا أريد مغادرة "صقلية" قبل أن أراك. ليس لدي أي شيء أقوله لك إلا أن أطلب منك أن تسامحيني».

دونت الماركيزة تحت اسمها عنوانها بفندق كبير بشارع "فيكتور إيمانويل". وضعت الفتاة الورقة في جيبها. ستذهب لرؤية حماتها ولكن ليس الآن. إنها تحتاج إلى وضع النقط على الحروف الآن.

قال "جيوسيب" مواصلا حديثه:

– أما بخصوص سيدي الكونت فقد رحل بسيارته بعد السيدة الماركيزة بقليل. إنه لا يفكر في العودة هذا المساء. لكن هناك شيئا مهما: "روساريا" اختفت!

– اختفت! كيف؟

– بعد ظهر اليوم لم أرها، واعتقدت أولا أنها ذهبت للتسوق بالقرية. لكنها لم تعد، والساعة الآن التاسعة والنصف.

قطبت حاجبيها. الأمر مزعج بالفعل.

– ليس لديك أدنى فكرة عن مكانها؟

– في هذا الصباح أتت لتتحدث معي كما هي العادة دائما عندما أقوم بعملي وأخبرتني أنها كانت بالخارج في ليلة الحريق الأخير.

– وماذا حدث؟

– لقد رأت بعض مشعلي الحرائق وتعرفت على واحد منهم.

– لماذا لم تحدثني بشأنه؟ كنت سأبلغ الشرطة.

– إنها لم ترد ذلك وقالت إنها تريد أن تتأكد من أنه هو.

– هو، من؟

– رئيس المافيا. إنها المسؤولة عن ذلك وكان "دون باسكول"

محقا. كانت "روساريا" مختبئة وراء أشجار البرتقال وسمعتهم. لا أعرف ماذا قالوا وهي لم تخبرني، لكن يبدو أن هذا غير قابل للشك.

صمتت "أريان" بدهشة. لقد اكتشفت "روساريا" شيئا ورحلت بمفردها...

– لكن إذا كانت قد تعرفت على رئيسهم فهذا يعني أنها رأته قبل ذلك؟ من هو؟

– رفضت أن تخبرني وأضافت أنها تريد أن تعرف إذا كان هو المسؤول عن موت ابنها وزوجته.

– هذا عبث! لم يكن يجب أن تذهب لرؤيته.

– عندما كلمتني عنه لم أصدقها واعتقدت أن الحريق أصابها بالاضطراب ولم تعد تعرف ما تقوله؛ ولهذا لم أخبرك في حينها. لكن لما رأيت أنها لم ترجع فهمت أنه صحيح.

– أين رحلت؟

– إلى "باليرم" علمت هذا لأن السيارة مرت على القرية في بداية فترة ما بعد الظهيرة ومنذ ذلك الحين لم أرها.

*****

يجب ألا تضيّع الوقت. لابد أن تعثر على المرأة العجوز قبل أن تحقق مشروعها غير المعقول، ماذا تأمل؟ أتنتزع الاعترافات من المجرمين؟ وكيف؟ وماذا ستفعل بها إذا حصلت عليها بطريقة

مدهشة حقا؟ لن يمكنها إثبات أي شيء أبدا.

دون أن تترك رسالة لـ"فريدريك" ركبت "أريان" سيارتها وسلكت طريق القرية.

لما وصلت إلى المكان تفحصت الأحياء الرئيسية والأطراف وتفحصت الأرصفة على أمل أن تراها. كان عدد من المارين يتجولون على الرغم من هذه الساعة المتأخرة، وكانت المطاعم مفتوحة. ظنت أكثر من مرة أنها تعرفت على "روساريا" لكنه كان خداعا دائما.

بعد ساعتين من البحث غير المثمر قررت العودة إلى القصر وانتظار عودة "فريدريك" لتطلب منه النصيحة. إذا لم يكن زوجها ولا صديقها فإنه لن يكون غير إنساني لدرجة أن يرفض مساعدتها.

ركنت سيارتها أسفل السلم وكانت نوافذ حجرة "فريدريك" مطفأة. إنه لم يعد بعد.

عندما كانت تغلق الباب وتطفئ الأنوار دهشت بشدة لما رأت تحت قدميها مظروفا أبيض. لابد أن أحدا وضعه هنا. فتحته وهي ترتعش وقرأت ما به:

«سيدتي:

ذات يوم أسديت لي خدمة عظيمة. جاء دوري الآن لأن أساعدك. إنني على علم بالأمر الذي يشغل بالك. إنني أعلم أين تكون "ر". إذا أردت أن تعرفي عنها المزيد- وإذا كنت أنا غير واضح تماما في هذا الخطاب- فإنه يمكنك أن تجديني غدا

في التاسعة صباحا في كاتدرائية "باليرم". إذا ظننت أن هذا فخ فلك مطلق الحرية. لا يجبرك أحد على المجيء».

*****

كان الخطاب مكتوبا على الآلة الكاتبة ولا يوجد أي توقيع في ذيل الورقة.

الفصل التاسع

في التاسعة إلا الربع فرملت "أريان" في ميدان "بريتوريا" بوسط "باليرم" وركنت أمام قصر العمودية. لقد ترددت كثيرا قبل أن تذهب لموعدها. ومع ذلك كان هناك شيء في هذا الخطاب غير الموقع يحيّرها. التلميح إلى "الخدمة" التي أدتها. «إذا كان فخا فإن مراسلي لم يكن ليلجأ إلى مثل هذه الحيلة». ربما كان ساكنا في إحدى الضواحي التي بها اتصال بالماڤيا أو أن الأمير "أمبرتو" ساعده؟ وعرفانا بجميل والد الفتاة أتى الرجل اليوم لمساعدة "روساريا".

عبرت الميدان بخطى سريعة وسرعان ما وصلت إلى متنزه "ڤيكتور إيمانويل". كانت شاحنة كبيرة تعوق سير المرور وتزايدت أصوات السيارات وبدأ تبادل الشتائم.

جاءها إلهام مفاجئ ودخلت إلى مقهى وطلبت دليل التليفون وبعد أن بحثت فيه عن رقم الفندق الذي تنزل به السيدة "دابويسلوركو" اتصلت بها. دون أن تضيع وقتها أوضحت لها الموقف بإيجاز ثم سألتها:

– أتعرفين مكان "فريدريك"؟ إنه لم يعد هذه الليلة؟

– لا أعرف. بعد أن غادرت القصر لم أره. على أية حال إذا رأيته سانقل إليه رسالتك. إذا أردت يمكنني الاتصال بالقصر في الصباح والاستعلام من "جيوسيب" عما إذا كان عاد أم لا.

– آه، نعم، هذا سيكون مفيدا. من جانبي أنا سأذهب إلى الكاتدرائية.

– هل أنت متأكدة أن الأمر ليس خطيرا؟

– ليست لدي أي فكرة. لكن يجب أن أحاول، أتفهمينني؟

وضعت السماعة وهي متضايقة. إن وجود "فريدريك" كان سيطمئنها. "فريدريك"... لا يجب أن تفكر فيه. يجب ألا تفكر إلا في الهدف الذي حددته لنفسها: العثور على "روساريا".

بعد عدة ثوان وصلت إلى الميدان المزين بالنخيل والتماثيل الذي توجد به الكاتدرائية. عندما دخلتها نظرت إلى ساعتها: لقد أتت قبل موعدها بخمس دقائق. لكي تخفي عصبيتها سارت عدة خطوات بين النخيل والتماثيل. كان المكان مهجورا.

كانت هناك خطوات ترن على البلاط واستدارت. كان يقف أمامها "باسي" الصيدلي، والد "چينا" التي أنقذها "فريدريك"

و"أريان" من بين يدي المعتدين.

– أنت.. أنت إذن!

– قلت لسيادتك في ذلك اليوم الذي أعدتما فيه ابنتي أنني سأثبت لك اعترافي بجميلكما... هيا، لن نبقى هنا.

سألت وهي تعبر باب الكاتدرائية:

– أين "روساريا"؟

– في مكان آمن. لا تخافي، لم يلحقها أي أذى.

شدها إلى عربة زرقاء مركونة في شارع ضيق ليس بعيدا عن ميدان "بريتوريا". فتح لها الباب وجلس إلى عجلة القيادة دون أن يدير المحرك وقال وهو يشعل سيجارة:

– يجب أن نحدد أولا ما سنفعله.

– ماذا حدث لـ"روساريا"؟

– ذهبت إلى رئيس الماڤيا. لا أعرف كيف عرفت شخصيته لكنها تعقبته. "ملازمو" رئيس الماڤيا أمسكوا بها واقتادوها إلى منزل معزول حيث تعقد الاجتماعات.

– كيف عرفت كل هذا؟

أخذ نفسا من السيجارة ببرطمة مليئة بسوء التفاهم.

– ألم تخمني؟

– إنك... إنك تنتمي إلى الماڤيا؟

– نعم وهذا لم يمنعني من أن أكون رجلا شريفا.

كانت دهشة للغاية لكي تفكر في الرد. استطرد قائلا:

– بالتأكيد أساهم في تصفية الحسابات بين أناس "الوسط".

لكنني ضد الهجمات التي تشن ضد من لم يفعلوا لنا شيئا مثل حرائق "كارمونت".

كان "باسي" رجلا مدهشا حقا! شخصية عجيبة تتحدث بلغة مهذبة عن قصص حقيرة للمجرمين.

سألت "أريان":

– ما سبب هذه الحرائق؟

– أنا آسف. لا يمكنني أن أخبرك به حتى لا يحيق الخطر بالتستر المحيط برئيس الماڤيا. إنني أريد مساعدتك لكن هناك حدود.

– ليكن. أخبرني فقط كيف أتصرف لإطلاق سراح "روساريا".

– إطلاق سراحها... لا أتمتع بهذا النفوذ. أولا– أريد وعدك بألا يعلم أحد ما ستعرفينه.

– أعدك بهذا.

– حسنا، ها هو ما يمكنني فعله من أجلك: ستذهبين إلى رئيس الماڤيا. إنه الآن في المنزل الصغير الذي حدثتك عنه. ستتحاورين معه. لا أضمن لك أبدا أن تنجحي في إقناعه. إنه رجل صارم جدا. أتقبلين؟ وإلا تعودين إلى منزلك ونتصرف كما لو لم يحدث أي شيء اليوم. إنك لم ترني وأنا لا أعرفك!

كانت مساعدة "باسي" غير فعالة تماما كما كانت تأمل. لكن الرفض هو الحرمان من الوسيلة الوحيدة لإنقاذ "روساريا".

إنني موافقة. هيا بنا.

انطلق بالسيارة وفي غضون دقائق خرج من "باليرم" نحو الشرق فرمل في ملتقى طريق مهجورة حيث كان ينتظر رجل في الثلاثين من عمره لم تقابله الفتاة من قبل. صعد المجهول إلى المقعد الخلفي وأشار إلى "أريان" بالجلوس إلى جواره. أطاعت وهي تسأل الصيدلي بعينيها فقط. قال هذا الأخير:

– "ليوناردو" صديق وعضو بنفس المنظمة مثلي. بما أنني اعتقدت أنك ستقبلين اتباعي فقد أعطيته موعدا هنا حتى يصطحبنا. سيكون عينيك لأنه لا يمكنك التعرف على الطريق الذي ستسلكينه. إنني متأسف لاستخدام هذه الطريقة ولكنني أنتهزها لأخبرك بأنني وهو مسلحان، ولكن هذا ضروري كل ما في الأمر ألا تعرفي مكان اجتماعنا.

رأت أنه غير مجد أن تعترض. مرر "ليوناردو" منديلا على عينيها وربطه خلف شعرها. كان "باسي" نفسه يحيرها مع مزيج الأدب الجم والشدة.

انحرفت السيارة يمينا ثم يسارا. حاولت "أريان" – على الرغم من عماها المؤقت– أن تحدد خط السير. لكن بلا جدوى. بعد مرور خمس دقائق من الانحرافات المتتالية كان لابد أن تعترف بهزيمتها. حاولت أن تحسب الوقت الذي يأخذونه في الذهاب إلى منزل الاجتماع. ولكنها أدركت بعد فترة أنه بلا جدوى أيضا لأن "باسي" قد توقع رغبتها في الكشف عن المكان على الرغم من هذه المحاذير ومن ثم تدبر أمره باللف والدوران حتى يطيل فترة السير وبناء على ذلك يضلل الفتاة.

طالت مدة الرحلة وندمت الفتاة على ثقتها بـ"باسي". بعد كل هذا ماذا يمكنها أن تفعل مع رئيس الماڤيا؟ إن ذهابها إلى منزله يعني وقوعها تحت سيطرته. «نعم، ولكن ليس لدي الخيار إذا أردت أن أستعيد "روساريا". هذه الفكرة دعمتها كثيرا.

بعد فترة من الزمن قدرتها "أريان" بساعة ونصف أو ساعتين، كانت السيارة في طريق خصوصي وتوقفت أخيرا. أمسك "ليوناردو" الفتاة من ذراعها وأخرجها. كانت هناك حرارة مضيقة للنفس تطل على الريف وشعرت بأنهم- كما أقسمت "أريان" - بينها وبين نفسها يتواجدون في وسط الحقول، وسمعت الضجة المميزة للجرار حينذاك مما أكد لها ذلك.

أمسكها "ليوناردو" جيدا ليمنعها من التعثر بالصخور الجيرية بالطريق. وحينذاك قال "باسي" لـ"أريان":

- مازال يمكنك تغيير رأيك.

أشارت بالنفي. لاحظت بعد ذلك صرير الباب الذي ينفتح. وعما قريب وجدت نفسها في حجرة لا تصدر فيها قدماها أي ضجة: من المحتمل أن تكون الأرض مطروقة. على الرغم من أنها لم تستطع أن ترى شيئا أحست أن هناك عدة أشخاص يقفون.

- ماذا يعني هذا؟ من هذه المرأة؟

كان صوت لرجل لا تعرفه "أريان".

أجاب "باسي":

- ابنة الأمير "كارمونت".

كان الصيدلي يقف وراءها وانتقل ناحية اليمين لكي يتوجه

إلى شخص في وسط الحجرة:

- اصطحبتها هنا لأنها تود محادثتك.

أجاب محدثه بالصوت الخاص لمن يسعون إلى إخفاء أصواتهم:

- أنت مجنون حقا يا "باسي"... وأنت أيضا يا "ليوناردو". ماذا تريدان أن أفعل بها؟ تبا لكما!

على الرغم من أن هذا الصوت غير مميز إلا أن "أريان" أحست بأنها سمعته قبل ذلك. لقد تعرفت "روساريا" على رئيس الماڤيا كما قال "جيوسيب"... إنها متأكدة أنها تعرف هذا الرجل لكن من هو؟

قالت "أريان":

- أطلب منك أن تعيد إليّ "روساريا". لقد تصرفت من رأسها.

حجزها هنا لن يفيدك في شيء.

توجه رئيس الماڤيا إلى رجاله وقال:

- اتركوني بمفردي معها. اذهبوا إلى الغرفة المجاورة. سأناديكم. أما أنتما يا "باسي" و"ليوناردو" فسنسوي هذا الأمر فيما بعد. لا أحب أن يعرضني أحد للخطر.

كانت هناك حركة عامة. عندما خرج الرجل الأخير وأغلق الباب قال رئيس الماڤيا:

- إنني مسلح ليس مجديا أن تفكري في نزع غمامتك.

كانت النبرة تحمل التهديد. هذا الصوت. فهمت "أريان" أن

فرصتها الوحيدة ألا تحاول تحديد شخصية محدثها.

حاولت أن تبدو هادئة وهي تسأل:

– ماذا تنوي أن تفعل بـ"روساريا"؟

– لقد تعرفت عليَّ.

– ولكن...

– لا جدوى من أن تستعطفيني.

وفجأة اقترب منها. قالت لنفسها إنه يجب أن تكسب وقتا وسألته:

– لماذا أشعلت النار في "كارمونت"؟

– هذا لا يخصك.

قالت له بتحد واضح:

– أترى هذا حقا؟

قال لها برقة:

– دائما كبرياؤك... ساعرف كيف أجبرك على الانتقاص من كبريائك! لقد خانني "باسي" بسببك. بسببك أو شك رجالي على الثورة عندما أمرتهم بحرق "كارمونت"... هؤلاء الحمقى احترموا أسرتك ولم يرد أحد أن يلمس مربيتك العجوز "روساريا" عندما وصلت إلى منزلي...

استعادت الأمل. إن شركاءه يعصونه رويدا رويدا. إنها إشارة جيدة. إنهم سيحاولون أن يفعلوا شيئا بالتأكيد ليساعدوني.

سألت ببراءة مصطنعة:

– بالمناسبة، لماذا ذهبت "روساريا" إلى منزلك؟

– إنها قصة قديمة... لقد مات ابنها وزوجته في مطعم بـ"باليرم"... لقد رآني الاثنان. أطلقت عليهما الرصاص... أسخر من نفسي لأنك كنت تعرفين هذا. لا يمكن أن يثبت أحد أي شيء ضدي.

لقد نطق هذه الكلمات الأخيرة بخيلاء واضح... عزمت على أن تتوغل أكثر في هذه النقطة حتى تكتشف سبب تصرفاته المشينة:

أكدت بإعجاب:

– لابد أن أعترف بأنك قوي جدا.

قال بدهشة:

– عجبا! الأميرة "كارمونت" تنحني أمامي؟

وضع يديه على كتفي الفتاة التي ارتعدت للمسته. كل شيء في هذا الرجل يشعرها بالنفور منه.

– "أريان"، "أريان" كنت جميلة جدا وفخور عندما قابلتك... ولا تخضعين لأي شيء في العالم...

وفي لمح البصر فهمت تلميحه وقالت:

– كنت تريد الضيعة، أليس كذلك؟

دون أن يجيب ضمها بين ذراعيه ومرر شفتاه على وجهها لكنها قاومت وأمسكها بقوة وهو يمد يده نحو شعرها الذهبي. أحست برائحته المحرقة. أدارت رأسها فجأة مما جعل عقدة عُصابة عينيها تنفك. فسقط المنديل على الأرض واستطاعت رؤية الرجل.

"كالوچيرو سكاريو"، تاجر العقارات!

تفرس الاثنان في بعضهما للحظات. تركها رئيس الماڤيا وصمت وتفرسها بعينيه.

قالت "أريان":

– كان لابد أن أشك فيك. كنت مستعدا لأي شيء، لتجبرني على بيع "كارمونت".

ضحك ضحكة ساخرة:

– مستعد لأي شيء لأحطمك بحرق أراضيك جزء وراء الآخر... منذ وقت طويل وأنا أرغب في هذه الضيعة! أريد أن أجعلها مركزا للإجازات التي تدر عليَّ الكثير... والآن تزوجت برجل ثري وانهار مشروعي... سأحرق كل شجرة في "كارمونت"، أتفهمينني؟ أحب هذا أكثر من التخلي عن امتلاك الضيعة...

نظرت إليه باستحقار. عما قريب ستفترق هي و"فريدريك" وستقع من جديد تحت رحمة "سكاريو"، لكنها تعلم أنها لن تذلَّ نفسها أبدا أمام هذا الشخص. لقد أثار النفاق حتى وجه شكوكها نحو الماڤيا في حين أنه كان رئيسها... هذه عبقرية.

من على يمينها انفتح الباب تظاهرت بأنها لم تسمعه و"سكاريو" من فرط غضبه لم يشعر به أيضا.

وبنبرة حادة واصل حديثه:

– إنك تعرفين الآن شخصيتي. هذه خسارة...

دس يده في جيب بنطلونه قبل أن يدرك ما حدث هرعت نحو

الباب الموارب وخرجت إلى الدهليز. يجب التصرف بسرعة. كان "سكاريو" يجري وراءها. كان "باسي" يقف أمام باب المنزل المفتوح. وبإشارة من رأسه دلها على الريف بالخارج أسرعت نحوه ومشت في الطريق الحجري دون أن تستدير. كانت ضجة النقاش تتعالى من جانب المبنى الصغير.

توارت وراء أشجار التين وبحثت بعينيها عن مخرج. و"روساريا" ليس من الممكن أن تعود إلى المنزل الذي تراه في أعلى التل. كانت هناك ثلاث سيارات من بينها سيارة الصيدلي مركونة أمام المدخل وثلاثة أخيلة تتحرك على عتبة الباب. إذا عادت على قدميها فلن يتردد "سكاريو" في إطلاق الرصاص عليها.

وراء حقل الكروم على الناحية الأخرى من التل حيث يوجد المنزل المعزول ميزت المنازل الأولى بما قد يشبه مدينة صغيرة. إذا استطاعت اجتياز الخمسمائة متر التي تفصلها عنها دون أن يلمحها "سكاريو" فإنها بلا شك تستطيع العثور على ملاذ في مقهى أو حديقة... كان قلبها يدق وهي تلاحظ ما يحدث في الجانب الآخر من التل. نزلت سيارتان إلى الطريق وظلت سيارة "باسي" في مكانها. فكرت بعد لحظة في أن تبحث عن المعاونة من جانب حليفها. لكن المنطق يقول إن "سكاريو" سيترك في حراستها أحد الرجال الأوفياء له. لا يمكنها أن تتخذ مثل هذه المخاطرة.

اقتربت السيارتان من أشجار التين حيث كانت مختفية. كان

مطاردوها يبحثون عنها في الطريق وحينذاك انطلقت مسرعة إلى حقل الكروم.

*****

كيف دخلت إلى هذا المكان؟ إنها لم تعرف أبدا. نجحت في عبور الحقل وألقت نظرة حولها وكادت تطلق صرخة دهشة. في أعلى الجدار الدائري الذي يوجد أمامها كانت توجد تماثيل حجرية بشعة: متسولون حدباء، وأسود برءوس بشر، وتنين ذو سلاسل عديدة. كانت نفس التماثيل المشوهة موجودة على بوابتين كبيرتين.

صرت الفرامل وطقطقت الأبواب. في أقل من دقيقة لحق رجال "سكاريو" بالفتاة. دون أن تتردد أسرعت نحو سلم فخم بدرجتين في وسط الحوش المؤدي إلى الواجهة المتصدعة لما يمكن أن يكون قصرا قديما. في نفس اللحظة سمعت صوت أقدام في الحوش. دخلت كان المكان مهجورا.

وجدت نفسها في صالة كبيرة كانت جدرانها من الرخام البيج مزود بحلزونات بيضاء من الرخام أيضا. وفي وسطها باب أصفر ذو مصراعين، جرت نحوه الفتاة وكان مغلقا بمفتاح.

عادت إلى وسط الحجرة وبحثت عن مهرب. ارتجفت عندما لمحت خيالا يتحرك ثم أدركت أنه خيالها الذي تعكسه المرآة. كانت هناك مرايا في كل المكان. كان السقف بأكمله مغطى

بها. كانت المرايا- القريبة من رأس "أريان" مع اتباع الشكل المقوس للسطح تعكس الرخام والحلزونيات. في ظل هذا الديكور غير الواقعي ارتاب الفتاة نفسها محبوسة بين المرايا حتى أصابها الدوار.

كان الباب- الذي حاولت فتحه- مواربا. تراجعت إلى الحائط وهي خائفة من الوقوع في فخ هذه الصالة... أطلقت تنهيدة ارتياح عندما لمحت الشخص الذي دخل: "ليوناردو" الذي قال لها:

- تعالي، إنهم قادمون.

*****

تبعته إلى الحجرة الداخلية ونزلت السلم الخارجي وعبرت حوش الأشخاص المتوحشين وركبت السيارة التي أشار إليها الرجل وانطلق بسرعة.

في ذلك الوقت كان "سكاريو" والرجلان الآخران يخرجون بدورهم من القصر المجنون.

سار "ليوناردو" في شارع مهجور وانحرف بينما كانت سيارة "سكاريو" تطاردهم. حول اتجاهه مرة أخرى بسرعة حتى إن الإطارات صرت في المنعطف وسار في شارع مليء بالبوتيكات المغلقة، ونجح أخيرا في أن يجعل مطارديه تائهين في الشوارع الصغيرة.

بمجرد أن أصبحا خارج المدينة الصغيرة سلك "ليوناردو" - الذي لم يرد على أسئلة "أريان" الملحة بخصوص ما جرى لـ"روساريا" - طريقا يوازي البحر وعيناه مصوبتان على المرآة.

أصبحت الآن بمنأى عن الخطر. أولا- أين تتواجد؟ إنها لم تعرف هذه المدينة ولا هذا القصر. فكرت. لقد حدثها أبوها عن مبنى مدهش تم بناؤه في القرن الثامن عشر، وتم تجهيز ديكوراته بناء على ذوق مالكه، وهو أمير شاذ يتسم بأنه مزور وقد أراد تسكين قصره بكائنات مشوهة مثله: الفيلا المشهور "بالاجونيا". قالت في قرارة نفسها: «ربما تكون هي. لكن أين توجد فيلا "بالاجونيا"؟ ليست بعيدة عن "باليرم"، باتجاه الشرق إذا ما كانت متذكرة جيدا ما قاله لها أبوها.

سألت:

- ما اسم المدينة التي ذهبت إليها؟

امتنع "ليوناردو" عن الكلام. «إنه لا يريد بلا شك أن أتمكن من تحديد مكان اجتماع الماڤيا».

قالت بإصرار:

- تعلم أنني سأكتشف الأمر. أعرف فيلا "بالاجونيا".

قال باستسلام:

- المدينة اسمها "باغاريا". لكنك لن تكشفي عنا بعد كل ما فعلته من أجلك؟

- لا، أعدك بهذا. لا أنت ولا "باسي". أما الآخرون فلا أعرفهم. ولكن الأمر يختلف بالنسبة لـ"سكاريو".

- آه، هو... لقد هدد بالانتقام من "باسي" ومني. لا تسلميه إلى الشرطة: إنها مسألة بينه وبين "باسي" وبيني أنا.

لم تجبه. على الرغم من رأي "ليوناردو" إلا أنها ستبلغ الشرطة بتصرفات "سكاريو" المشينة.

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد ظهر اليوم عندما فرمل "ليوناردو" أمام بوابة قصر "كارمونت". تركها الرجل بعد أن قال:

- لقد أنقذت حياتك وآمل ألا تنسي هذا. وفي المقابل لا أطالبك إلا بشيء واحد: لا تقولي شيئا عني وعن "باسي".

أكدت له:

- لا تخش شيئا.

مرة ثانية ينتصر قانون الصمت القوي.

عندما دخلت إلى الصالة اعتقدت أنها تحلم:

"روساريا" - وهي تبتسم- عادت قبلها.

الفصل العاشر

قالت المربية وهي تقبّل الفتاة:

- كنت سأموت من القلق عليك منذ أن علمت أنك ذهبت للبحث عني. إنك تغامرين بحياتك يا لك من مجنونة!

انفجرت "أريان" في الضحك لكي تخفي الاضطراب الذي

يعتريها.

– أنت الأكثر جنونا مني.

ظهر "فريدريك" وهو ينزل من على السلم. إن رؤيته تحيي ألم الفتاة. من الآن فصاعدا يحظر عليها أن تفكر في أنها تحبه. لم يعد لها الحق في أن تسأل عن حقيقة مشاعرها نحوه "أريان"، أختي يا للحب المجروح... لم تعد لديها الجرأة لأن تنظر إليه خشية أن ترى الجاذبية التي تنبعث منه.

قال "فريدريك" ببساطة:

– "سكاريو" مات.

كررت ما قاله دون أن تفهم وابتعد "فريدريك" أولا. أمسكت "روساريا" من يدها وجذبتها إلى صالة الطعام.

بعد أن تناولت "أريان" وجبة غداء دسمة؛ لأنها كادت تموت من الجوع حكت لها المربية ما قد حدث.

كان "فريدريك" – كما حكى لـ"روساريا" فيما بعد – موجودا في "باليرم" في نفس الوقت الذي كانت فيه "أريان" قد غادرت المدينة بصحبة "باسي". ذهب إلى الفندق الذي تقيم به أمه في الصباح. أخبرته السيدة "دابويسلوركو" بشأن مكالمة "أريان" وأوضحت له الموقف.

ذهب بالسيارة إلى الكاتدرائية. من الواضح أن "أريان" والصيدلي رحلا منذ وقت طويل. لقد قرر البحث عن آثارهما في المدينة لكن بلا جدوى. عاد حينذاك إلى "كارمونت" في الثانية عشرة والنصف وقام "باسي" بزيارته على الفور. وقد ظل

"باسي" في منزل الاجتماع بعد هروب "أريان" ثم أتى ليخبر "فريدريك" بالخطر المحيط بالفتاة ورحلا معا إلى "باغاريا"، ثم ذهبا إلى المنزل الصغير حيث كان يقوم رجل واحد بالحراسة وخلصا السيدة العجوز. كانت هذه الأخيرة محبوسة في حجرة مجاورة للحجرة التي وصلت إليها "أريان". اصطحب الاثنان "روساريا" وذهبا بعد ذلك إلى "باغاريا". كان الصيدلي يعلم بالفعل أن الفتاة ليس لها ملجأ سوى هناك. لكن أين؟ في هذه اللحظة بالذات كانت "أريان" و"ليوناردو" متواجدين بڤيلا "بالاجونيا" وفي نفس الوقت كان "سكاريو" واثنان من أتباعه هناك. لمح الصيدلي من بعيد سيارة "ليوناردو" تغادر الڤيلا وتتبعها سيارة "سكاريو". طارد "فريدريك" بدوره "سكاريو".

بمجرد أن ضلل "ليوناردو" "سكاريو" في "باغاريا" وهرب مع "أريان" عملت سيارة "سكاريو" حادثة بلا خطورة. عندما وصل "فريدريك" و"باسي" و"روساريا" إلى المكان وجدوا السيارة مصطدمة بجدار حجري. لما رأى رفيقا رئيس الماڤيا "فريدريك" – الذي اعتقد أنه مسلح – و"باسي" – الذي كان مسلحا بالفعل – لاذا بالفرار. ظل "سكاريو" بالقرب من السيارة على حافة الطريق. لما لمح رئيس الماڤيا الصيدلي أخرج سلاحه وكذلك فعل "باسي". أطلق الرجلان الرصاص في نفس اللحظة وقتل "سكاريو" ولم يجرح "باسي". عاد "فريدريك" إلى قصر "كارمونت" من داخل الأراضي مع "باسي" و"روساريا". عثر الصيدلي على سيارته مركونة أمام القصر ورحل إلى "باليرم".

دخل "فريدريك" و"روساريا" قبل خمس دقائق من وصول "أريان" التي سلكت مع "ليوناردو" طريقا أطول لدى عودتها.

قالت "روساريا" في النهاية:

– وقد وعدنا "باسي" عند انصرافه بألا نبلغ عنه.

قالت الفتاة:

– تماما مثلما فعلت مع "ليوناردو".

– إننا ندين لهما بذلك فعلا.

لم تقل المرأة العجوز أكثر من ذلك، لكن "أريان" فهمت مغزى كلامها: إن الصيدلي– بقتله لـ"سكاريو" – يكون قد صرع الرجل الذي اغتال ابن "روساريا" وزوجته.

ثم جاء الدور على "أريان" لتحكي قصتها.

*****

يجب الآن النظر إلى الحقيقة ومواجهتها إن سوء تصرف "روساريا" حول أنظار "أريان" قليلا عنها، لكن الوقت قد حان.

طرقت على باب "فريدريك" بيد عصبية وسمح لها بالدخول.

كان جالسا على الكرسي بين السرير والمدفأة ويدخن سيجارة.

قالت "أريان":

– حكت لي "روساريا" ما قد حدث. لكنني أريد أن أسألك...

سألها بصوت غير مبال:

– ماذا؟

– ماذا فعلت في "باليرم" بالأمس وهذه الليلة؟

– بقيت مع أمي.

– غير صحيح. عندما اتصلت بها أخبرتني أنها لم ترك.

– إنك تعرفين أكثر مني... إذا تمسكت حقا بما فعلته... فلقد ذهبت إلى مشرب ثم إلى مشرب آخر وهكذا. لسوء الحظ إنني أنتمي إلى أصل الرجال الذين لم يشربوا أبدا. خسارة. كان هذا سيسليني.

كانت تتفهم جيدا ما لابد أنه يشعر به. إنها أيضا– عندما علمت الحقيقة– شعرت بأنها مثل المجنونة. أرادت أن تقول له كلمة أو جملة لتواسيه لكنها لم تستطع. حتى الصداقة غير ممكنة بينهما. لقد أحبته كثيرا.

– بالأمس قررت أن تلغي زواجنا وأظن أنه لم يتح لك الوقت.

– نعم.

– أريد أن أذهب لطلب النصيحة من "دون باسكول".

– على راحتك.

*****

ذهبت "أريان" إلى منزل "دون باسكول" وفتحت أخته "إيد" لها الباب وقالت لها:

– تعالي، لن يتأخر.

بناء على إشارة من "إيد" جلست "أريان" على كرسي في صالة الطعام الصغيرة وقدمت لها طبقا مليئا بالعنب والتين. كان يوجد بالخارج صوت أقدام. قامت "إيد" بفتح الباب وظهر "دون باسكول" في الحال.

لما كان "دون باسكول" عارفا بالنفس البشرية لم يشك في أن زيارتها ذات أهمية. امتنع عن أن يطرح عليها أي سؤال وفضل أن يترك لها مبادرة البدء.

سألته بغتة:

– أيمكن أن تخبرني بحالات فسخ الزواج؟

دهش "دون باسكول" لهذا السؤال وانتظر قليلا ليستفهم أكثر:

– هل الزواج الجسدي الذي لم يتم يبرر الفسخ؟

– نعم، في بعض الظروف. لكن يصعب عليّ الحديث عنها نظريا. يجب أن توضحي لي الحالة التي تشغلك.

– إنها حالتي.

– كيف؟.. لكن...

– نعم "فريدريك" وأنا ليسا زوجين. والآن كنا نريد فسخ هذا الزواج.

لم يفهم "دون باسكول" بعد. كيف يمكن هذا؟

– هل تشاجرتما؟ لا يجب أن تعطي أهمية لهذا. هذا ما يحدث غالبا مع الأزواج الشبان.

– الأمر أخطر من هذا، أخطر بكثير.

كشفت له عن الحقيقة وهي تقاوم لكي تسيطر على نفسها.

عندما صمتت احترم "دون باسكول" صمتها. كم كانت تعاني! لكن هل يحق له؟

دهشت من رد فعله في حين أنها توقعت كلام شفقة. قال معلقا:

– إنني مضطرب.

لم تعد تفهم مقصده من قوله: «إنني مضطرب». بعد صمت جديد سألها:

– هل "روساريا" موجودة بالقصر الآن؟ والسيد "دابويسلوركو"؟

– إنهما موجودان هناك.

– حسنا. هل معك سيارة؟ أريد أن أراهما بسرعة.

أذعنت لرأيه وهي مضطربة للغاية، لكن الملاحظة– التي أبداها "دون باسكول" حينما كانت السيارة في طريقها إلى "كارمونت" – حيرتها كثيرا:

– لماذا لم تحدثيني عن ذلك في وقت مبكر؟ كان هذا سيجنبك تعذيب نفسك بلا جدوى.

*****

تساءلت "أريان": «ماذا يقولون لبعضهم؟».

لقد مر الآن أكثر من نصف الساعة و"دون باسكول" موجود

في الصالون مع "فريدريك" و"روساريا". ما سبب هذا الاجتماع الغريب؟ هذا السؤال كان يحيرها كثيرا لاسيما أن الفتاة لم تدع إليه. إنهم يتحدثون بلا شك عنها وعن هذا الزواج؟

وأخيرا انفتح الباب وأسرعت. خرج "دون باسكول" أولا.

– تعالي. باتفاق مشترك قررنا أن أكون أنا محدثك.

شدها إلى الخارج باتجاه حمام السباحة حيث كان "فريدريك" قد أعاد الماء إليه.

قال "دون باسكول":

– "أريان"، ما سأعلمك به صعب جدا. إنه ليس مفرحا أو محزنا أو بالأحرى الاثنان معا.

دهشت "أريان" بشدة. عن أي شيء سيكشف لها؟

– في الحقيقة اعتقدت أنه من الأحسن أن أبدو فظا. لكنني كنت خائفا للغاية من أن أجرحك...

– أتعرفين من يكون "جيوڤاني" و"أورنيلا"؟

– بالتأكيد، ابن "روساريا" وزوجته. لقد رأيت صورهما في حجرتها. كانا شابين جميلين... لماذا؟

لم يجب "دون باسكول" في الحال. كان يفكر في "أورنيلا" وبشاشتها وعينيها الزرقاوين وفي "جيوڤاني" هذا الأشقر الذي كان يتسلى باختلاق قصص الأشباح ليضحك "أورنيلا" ويخيف "روساريا"...

سأل "دون باسكول":

– يقولون دائما إنهما ماتا دون أن ينجبا، أليس كذلك؟

أشارت بالإيجاب ثم قال "دون باسكول" ملاحظا:

– من الواضح أنني و"روساريا" على علم بالأمر فقط. ومنذ وقت قليل يعلمه السيد "دابويسلوركو".

– إلى أين وصلتم؟

– دعيني أحك لك قصة. قصة وعدت بأن أحتفظ بها لنفسي. ولكن الظروف لم تترك لي اليوم أي خيار. كانت "لورا ڤيرنويل" قد تزوجت الأمير "أمبرتو" منذ سنوات ومثل أي زوجين شابين أراد الزوجان أطفالا. لكن هذا لم يحدث. كانت الأميرة "لورا" عقيمة وقررا حينذاك تبني طفلا وقدما طلبا بخصوص هذا الشأن. وتأخر الرد. في تلك الأثناء استقر "جيوڤاني" في "باليرم" وتزوج "أورنيلا". عندما كانت هذه الأخيرة حاملا تمنيا أن يكون الأمير والأميرة- اللذان يرتبطان بصداقة كبيرة معهما- كفيلي الطفل. تم قبول هذا العرض بفرحة. وكان المولود بنتا. بعد شهر من ولادتها مات "جيوڤاني" و"أورنيلا" في الظروف التي تعرفينها. وتبقت الطفلة التي ذهبت "روساريا" للبحث عنها في "باليرم".

ماذا ستفعل "روساريا" للعناية بحفيدتها؟ طرح الأمير والأميرة هذا السؤال على أنفسهما. أي منهما وردت له الفكرة أولا؟ لا أعرف. وذات صباح أتى الأمير "أمبرتو" ليخبرني بأنه وزوجته قررا تبني طفلة وتربيتها كابنتهما. سيكون لديها أسرة ترعاها ومنزل سعيد وحياة مميزة. كنا أربعة نعلم بهذا الأمر. تمنت الأميرة ألا يعرف أحد بخصوص هذا التبني خشية أن تعلمه

الطفلة ذات يوم. شيء عجيب حيث كانت "روساريا" تتمنى نفس الشيء. أعتقد أنها أرادت أن تملك حفيدتها ما لم تملكه هي وما لم تستطع تقديمه إلى ابنها. كانت "روساريا" من عائلة فقيرة وأعتقد أن تربية حفيدتها كأميرة يعد تعويضا لها عن شبابها الصعب. ولهذا يجب ألا تكتشف الطفلة الحقيقة. كما أعتقد بصفة خاصة أن "روساريا" تصرفت من أجل صالح الطفلة.

تكفل الأمير بالإجراءات الإدارية وتدبر أمره حتى لا تكون كلمة التبني مذكورة في العقد. لم يشك أحد في الحقيقة. كانت الأميرة تسافر كثيرا وتخرج قليلا من القصر عندما تتواجد به. لم يندهش أحد من هذه "الولادة". تخلت الأميرة حينذاك عن مهنتها الموسيقية لتهتم بالفتاة الصغيرة. بين والديها الجديدين و"روساريا" أعتقد أن هذه الطفلة كانت سعيدة. أليس كذلك يا "أريان"؟

– نعم. نعم سعيدة جدا.

*****

عادت إلى القصر بخطى بطيئة وقد جف حلقها. كان "دون باسكول" لديه من الرقة لأن يختفي حتى يتركها بمفردها. هذا السر السعيد والحزين في نفس الوقت كشف عنه "دون باسكول". كانت عاجزة عن الكشف عن مشاعرها الخاصة.

تذكرت الأميرة "لورا" في حجرتها وهي تحكي لها عن شبابها في "فرنسا" وحفلاتها في "إيطاليا" وزواجها عن حب. بدت لها هذه القصص مثل حكايات الجن. "أريان" بدورها اخترعت قصصا خرافية مثلما كان "جيوڤاني" يختلق قصصا ساخرة لأمه. وتذكرت أيضا الأمير "أمبرتو" وعطفه نحوها وخصوصا بعد موت الأميرة "لورا" و"روساريا"، "روساريا" التي كانت تلاحظ الصمت حتى النهاية، وفرحتهما عندما كانا في "كارمونت"، ورقتها مع "بولينا"، والتنزه الذي كان يقوم به ثلاثتهن. نعم، "أريان" سعيدة جدا.

وكأنها تعيش حلما رأت السيدة العجوزة آتية لمقابلتها على السلم. قالت "أريان" مبتدئة الحديث:

– أعلم أن...

قاطعتها "روساريا" بإشارة من يدها:

– لا تتحدثي عنه؛ لأننا لو تحدثنا عنه فإن كل الماضي لن يكون له أي معنى. أتفهمين؟

– لكنني أريد...

– فيما بعد. هذا هو ما يجب أن تذهبي إليه الآن.

وأشارت إلى جناح القصر حيث كانت الشرفة تطل على الأرض الخضراء.

الخاتمة

أسدل الليل أستاره. لن تهدد الحرائق الضيعة مرة أخرى. لقد عاد كل شيء إلى طبيعته. لكن كيف تصرف "فريدريك" وهو يستمع إلى "روساريا" و"دون باسكول"؟ فكرت "أريان" بحزن: ما يهمه بالنسبة لي هي الأميرة "كارمونت" وقد أشعرني بذلك. إن زوال آخر عقبة بينهما لم يقدها إلى شيء في نهاية الأمر. كيف سيستقبلها الآن وهو الذي يكلل بإكليل الماضي المميز لـ"كارمونت"، بينما قد زال عنها بدءا من اليوم؟

بالتأكيد ستبقى في "كارمونت"، تلك كانت أمنية الأمير والأميرة لن يتغير شيء. ومع ذلك لقد انهار العالم من حولها. إنها تحس بأنها لا تملك شيئا ولا تعد شيئا. هل هذا يرجع فقط لأن الحياة التي كانت تعيشها أخذت طريقا آخر؟ من الواضح أنها تتذكر من قاموا بتربيتها ومن لا تعرفهم.

ومع ذلك لن تعاني مما قد علمته. على العكس تماما، لقد أصابها الاضطراب، لكنها لن تشعر بالإحباط. «ما الذي يضرني؟» هكذا حدثت نفسها.

تركزت عيناها على الشرفة السفلية التي وصلت إليها. رأت "فريدريك" مستندا على الدرابزين. لقد رأته للمرة الأولى في هذا المكان، في يوم الحريق وهي المرة التي وقعت فيها في شباك

حبه. يا إلهي! إذا كان كل ما حدث منذ فترة يمكن أن يتلاشى، إذا كان يمكن أن يكرر نفسه إذا كان يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.. كانت تعلم مقدما أنها لا تمثل شيئا بالنسبة له، لكنه كل شيء بالنسبة لها. كانت تعلم مسبقا أنه عندما يطردها وعندما يغادر هو هذا القصر فإنها لن تعود قادرة على الحب "فريدريك" هو حبها الوحيد. إن التعلق برجل آخر بعد أن عاشت معه أمر مستحيل.

عبرت درجات السلم الذي يفصلها عنه درجة تلو الأخرى. إنها ستعترف له بحبها مهما كلفها الأمر.

عندما كانت قريبة منه قال لها فجأة:

– أين تريدين أن نسافر من أجل رحلة زواجنا؟

– "فريدريك"، لا تسخر مني...

أمسك يدها وهمس بصوت رزين:

– إنني أتكلم بجدية.

حاولت أن تبتعد عنه دون أن تفهم:

– إنك تشعر بالشفقة نحوي. أليس كذلك؟

– من حدثك عن الشفقة؟

أجابته بحيرة:

– موقفك كله..

– آه! عندما اعتقدت أنه يستحيل كل شيء بيننا وذهبت للتسكع طوال الليل في "باليرم" باحثا عن النسيان، أتظنين أن هذا شفقة؟

أمسكها بقوة وقال مفسرا كل كلمة من كلماتها:

– إنني أحبك بشدة حتى أتحمل أن تتلاعبي بي.

ونظر إليها كثيرا ثم كرر في النهاية:

– أتحبينني يا "أريان"؟

خفضت رأسها. ما فائدة الاعتراف له إذن؟ قالت في قرارة نفسها: «لقد اخطأت بالمجيء».

جذبها نحوه ونظر إلى عينيها:

– أتحبينني؟ أستحلفك بالله ألا تتلاعبي بي.

– كيف تقول هذا؟ أي منا عرض على الآخر زواج العقل حيث لا يوجد للحب أي مكان؟

– إذا كنت قد فعلت هذا يا "أريان" فهذا لأنك لم تنطقي كلمة حب ولو لمرة واحدة...

– ولماذا أقولها أنا؟ لست أنا من تزوجتك، إنها أميرة "كارمونت".

– يمكنني أن أعيد إليك كلامك. لا يهم من أكون. لم تقبلي هذا الزواج إلا لإنقاذ ضيعتك وبسبب ثروتي ولن ألومك.

– غير صحيح! في المرة الأولى التي قابلتك فيها هنا عندما قدمت نفسك تحت اسم مستعار كنت أجهل شخصيتك. إنك تتهمني باللامبالاة وأنت من...

– أنا؟ أنا أحببتك منذ اللحظة الأولى يا "أريان". لماذا تعتقدين إذن أننا تقابلنا مرة أخرى عند "أورلاند" و"بولينا"؟

مصادفة؟ أنا من رتبَّ كل شيء، لأعرف أصدقاء أميرة "كارمونت" هذه التي حدثتني عنها دون أن تخبريني بأنها أنت. لقد أردت تعقب أثرك. صحيح أنني أحببت هذه الضيعة كثيرا، لكن أتصدقين أن هذا يكفي لتبرير طلبي زواجك؟ كنت مستعدا لأي شيء للزواج بك... حتى لو كان التظاهر بزواج عقلاني... بالإضافة إلى أنك رأيت ما قد فعلته بهذا الوعد. لقد أقسمت أن أكون صبورا وأنتظر حتى أغزو قلبك ثم...

ثم توقف وحملق إليها لكي يقرأ أفكارها ثم استمر في حديثه:

– وأصابني الجنون عندما أتت أمي لتخبرني...

وقاطعته بدورها:

– كنت باردا للغاية في هذه اللحظة. لم تنطق لي بكلمة واحدة. الأمر يبدو لك سواء.

– ماذا يمكنني أن أقول؟ لا أجرؤ على لومك. إن وجودك وحده يمزقني. لم أكن متأكدا من نفسي لكي أعترف لك. خشيت هذه العاطفة التي تحترق بداخلي.

رفعت عينيها نحوه دون أن تجرؤ على تصديق سعادتها واعترفت:

– أنا أيضا خشيت من نفسي.

ابتسم ابتسامة خفيفة أظهرت حبه:

– "أريان"، اليوم أطلب منك أن تكوني زوجتي. أتمانعين؟

– أوه يا "فريدريك" كيف يمكنك أن تشك في إجابتي؟

وفي هذه الليلة أصبحت "أريان" زوجة الرجل الذي أحبته. وغدا سيرحلان في رحلة شهر العسل إلى أين؟ لا يهم. المهم أنها ستكون مع "فريدريك".

فرد المساء أستاره على القصر والحديقة. في خلال ساعات سيسطع يوم جديد على "أريان" و"فريدريك" وسيصبح يومهما الأول في محيط سعادتهما.

تمّت بعون الله

WWW.BEWTY.COM
مـر مـوريـة